

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة - العدد ٦٩ - رمضان ١٣٩٠ هـ - ٢١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠ م

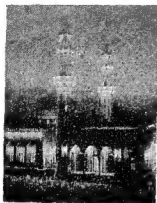


رسالة

الصَّيَامُ وَالزَّكَاةُ
هَدِيَّتُكَ مَجَانًا
مع هذا العدد



سمو الأمير يؤدي صلاة الجمعة في الجامع الأزهر أثناء زيارته للقاهرة
سنة ١٩٦٦ وعن يساره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وعن يمينه
الرئيس الحالي أنور السادات .



مسجد الشمال

هكذا تبدو مساجد الكويت ليلا
في شهر رمضان في اجمل زينة .
عامرة بالصائمين القائمين .

وفي الصورة مسجد الشمال
الذي يمتاز بطرازه العربي الرفيع
وموقعه الفريد .

التمن

السكوت	٥.	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الأردن	٥.	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
نونس	١٢٥	مليسا
الجزائر	دينار	وربع
المغرب	درهم	وربع
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥.	قرشا
مصر والسودان	٢.	مليسا

الاشتراك السنوي للهيئات فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلها بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعدد التوزيع كل في قنا

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢.٨٨ - كويت

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAKE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

المسنة السادسة

العدد التاسع والمستون

رمضان سنة ١٣٩٠ هـ

٣١ أكتوبر (تشرين اول) ١٩٧٠ م

نصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

بسم الله الرحمن الرحيم



من الهلال إلى الهلال

النهار وزلفا من الليل) ، وفي سورة الاسراء (اقم الصلاة لادلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) ، وفي سورة طه : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آتاء الليل فسيح واطراف النهار لملك ترضى) .

وجاءت السنة النبوية بتحديد وقت كل صلاة منها بدءاً ونهاية ، وهذا التحديد مرتبط بالشمس ، عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل عليه السلام ، فقال له : قم فصله . فصلى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر ، فقال : قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم جاءه المغرب فقال : قم فصله ، فصلى المغرب حين وجبت الشمس ، ثم جاءه العشاء ، فقال : قم فصله ، فصلى العشاء حين غاب الشفق ، ثم جاءه الفجر حين برق او قال سطع الفجر .. ثم جاءه من الغد

الأول هلال شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان والثاني هلال شهر شوال الذي افتتح الله به أشهر الحج الى بيته الحرام ، ومن الهلال الأول الى الهلال الثاني يقوم المسلم الصائم برحلة سنوية وفقاً لبرنامج سماوى شرعه رب العالمين ، وبينه خاتم الانبياء والمرسلين .

وارتبطت عبادة الصوم الذي تتميز به هذه الرحلة بالقمر ليس بدعابين العبادات في الاسلام فاركان الدين العملية التي تعبدنا الله بها من صلاة وزكاة وصيام وحج ترتبط زمنياً بالكوكبين المنيرين (الشمس والقمر) ارتباطاً وثيقاً .

فالصلوات الخمس لها اوقات محدودة لا بد ان تؤدى فيها لقول الله تعالى : « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الاوقات اشارة مجملة فقال سبحانه : (واقم الصلاة طرئى

إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه
فأفطروا فإن غمى عليكم فعدوا
ثلاثين .

وقت الصوم من طلوع الفجر الى
غروب الشمس ، قال تعالى :
(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الأبيض من الخيط الأسود من
الفجر) .

وتحديد مواقيت العبادة وضبطها
بالشمس والقمر ، وتوضيحها بالوحي
على لسان المعصوم صلى الله عليه
وسلم لم يجعل لكائن من كان في أي
عصر من العصور مجالا للتلاعب أو
الابتداع ، فلا يملك أحد تغيير هذه
المواقيت ولا تعديلها بالزيادة أو
النقص أو التقديم أو التأخير فذلك
شرع الله الذي شرعه لعباده .

وكيفية أداء هذه الطاعات وصورها
العملية لم تتغير عند المسلمين في
عهد من العهود عما كانت عليه في
زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فالصلوات بأقوالها وأفعالها
وعدد ركعاتها والزكاة بأنواعها
ومقاديرها ، والصوم بحدوده
والتراماته ، والحج بمناسكه
وشعائره كل ذلك لم يختلف عما كان
يفعله صلوات الله وسلامه عليه ،
وما كان يفعله موافق تمام الموافقة
لما جاء به الوحي اليه ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما
رأيتموني أصلي) و (خذوا عني
مناسككم) .

وبهذا يكون كل مسلم ملتزما بأداء
هذه العبادات في مواقيتها وعلى
النحو والصورة المنقولة إلينا قولا
وعملا جيلا عن جيل من العبدول
الثقات .

للظهر فقال : قم فصله ، فصلى
الظهر حين صار ظل كل شيء مثله ،
ثم جاءه العصر ، فقال قم فصله ،
فصلى العصر حين صار ظل كل شيء
مثليه ، ثم جاء المغرب وقتا واحدا لم
يزل عنه ، ثم جاءه العشاء حين ذهب
نصف الليل أو قال ثلث الليل ، فصلى
العشاء ، ثم جاءه حين أسفر فقال :
قم فصله ، فصلى الفجر ، ثم قال :
ما بين هذين الوقتين وقت .

وهناك صلوات أخرى غير
المفروضة يرتبط وقتها بالشمس ،
فصلاة العيدين من ارتفاع الشمس
قدر ثلاثة أمتار ، قال جنذب رضى
الله عنه : (كان النبي صلى الله عليه
وسلم يصلى بنا الفطر والشمس على
قدر رمحين والأضحى على قيد
رمح) وصلاة الضحى يبتدىء وقتها
بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهي
عند الزوال ، قال زيد بن أرقم :
خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم على أهل قباء وهم يصلون
الضحى ، فقال : « صلاة الأوابين
إذا رمضت الفصال من الضحى » إذا
وجدت أولاد الناقة حر الشمس .

وزكاة النقدين وعروض التجارة
والأنعام إنما تجب بمرور حول على
نصاب كل منها ، والحول سنة
قهرية .

والحج أشهر معلومات ، وهى
شوال وذو القعدة وعشرة أيام من
ذي الحجة وهى أشهر قهرية .
والشهر المفروض صومه رمضان
وهو يبدأ بهلاله وينتهى بهلال
شوال .

ففى حديث مسلم عن أبى هريرة :
أن رسول الله ذكر الهلال ، فقال :

(قبر النبي) قال : لا تفعل ، فاني
أخشى عليك الفتنة . قال : وای
فتنة في هذا ؟ وانما هي اميال
ازيدها قال : وای فتنة اعظم من ان
تري انك سبقت الى فضيلة قصر
عنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم . اني سمعت الله يقول :
(فليحذر الذين يخالفون عن امره ان
تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) .
وقال الحسن في تفسير قوله
تعالى : (يا ايها الذين آمنوا كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلمكم تتقون) كتب الله صيام
رمضان على من كان قبلكم : فاما
اليهود فرفضوه ، واما النصارى
فحشق عليهم الصوم ، فزادوا فيه
عشرا واخروه اني اخف ما يكون
عليه فيه الصوم من الأزمنة .

والعبادات في الاسلام مقصودة
بذاتها تؤدي في مواقيتها المعلومة
وبكيفيةاتها المشروعة ، فهي اولا وقبل
كل شيء حق المعبود ، وواجب الخالق
للمخلوق قال تعالى : (وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون) وروى
البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل
رضي الله عنه قال : (كنت رديف
النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
يا معاذ اتدري ما حق الله على
العباد ؟ قلت : الله ورسوله اعلم .
قال حق الله على العباد ان يعبدوه
ولا يشركوا به احدا) وفي الحديث
القدس : (يا بني آدم اني ما خلقتكم
لاستأنس بكم من وحشة ، ولا
لاستكثر بكم من قلة ، ولا لاستعين
بكم من وحدة على امر عجزت عنه ،
ولا لاجلب منفعة ولا ادفع مضرة وانما
خلقتكم لتعبدوني طويلا ، وتذكروني
كثيرا ، وتسبحوني بكرة واصيلا) .

ومن فضل الله على المسلمين ان
بقيت شعائر الاسلام وعباداته سليمة
نقية بريئة من التصريف والتفسير
منزهة عن عبث الصابئين واهواء
الضالين المبتدعين ، وهذه ميزة
للالسلام لم تكن لذين من الاديان ،
فانواع العبادات وصورها في
الديانات الأخرى دخلها من الزيف
والابتداع ما اخرجها عما شرع الله ،
اما الاسلام فقد اوصى المسلمين ان
يتبعوا ولا يبتدعوا ، قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (وكل
محدثه بدعة ، وكل بدعة ضلالة)
وقال : (من عمل عملا ليس عليه
امرنا فهو رد) .

وقال ابو بكر رضي الله عنه :
لست تاركا شيئا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلم يعمل به
الا عملت به ، اني اخشى ان تركت
شيئا من امره ان اترع .

وقال عمر بن عبد العزيز : انه
ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد كتابكم
كتاب ، ولا بعد سننكم سنة ، ولا بعد
امتكم امة ، الا وان الحلال ما اهل
الله في كتابه على لسان نبيه حلال
الى يوم القيامة ، الا وان الحرام
ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه
حرام الى يوم القيامة الا واني لست
بمبتدع ولكني بمتبع . الا واني لست
بقاض (مشرع) ولكني منفذ .
وجاء رجل الى الامام مالك وهو
بالدنية وقال له : يا ابا عبد الله من
أين احرم ؟ قال من ذي الحليفة ،
(ميقات اهل المدينة) من حيث احرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : اني اريد ان احرم من المسجد ،
فقال : لا تفعل . قال : اني اريد ان
احرم من المسجد من عند القبر

أن العبادات التي جاء بها الاسلام
ستبقى أشرف مظاهر العبودية لله ،
وستظل أقوم مناهج التربية والتقويم
أمام الذين يريدون أن يعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا
الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين
القيمة .

وبعد :

فإن المسلم الصائم يقوم في
رمضان برحلة روحية ينتقل فيها
كيانه المعنوي بمشاعره وعواطفه
وعقله وقلبه الى معاهد الوحي
ومعالم التنزيل ، ويلتقي فيها
بالرسول الأعظم صلى الله عليه
وسلم في أصفى حالاته وهو يتلقى
الوحي ، وفي أشجع حالاته وهو
يقود المعارك الكبرى في بدر ، وفي
أسعد لحظاته وهو يحرق البيت
الحرام من رجس الشرك في فتح
مكة .

في رمضان يحلق المسلم الصائم
بروحه فوق القرون المتطاولة ، فيشهد
تاريخ أمته وهو يكتب بقوة العقيدة
وصدق العزيمة وحرارة الدماء فيؤمن
من جديد بأن لا سبيل للعزة والنصر
الا سبيل المؤمنين الصادقين .
ومن الهلال الى الهلال يعيش
المسلم الصائم فترة من الزمان مع
الأناس في الأرض ومع الملائكة في
السماء ، وهم يود أن تطول حتى
يصبح رمضان السنة كلها .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

عبد الوهاب النقيب

ولو أن مسلماً صام ولم يقصد
بصومه أداء حق الله ولا القيام
بواجب العبودية والطاعة للمعبود
وانما قصد بصومه تحصيل مقاصد
معنوية كالتحرر من سلطان النفس ،
او فوائد مادية كتصحيح البدن -
ما كان صومه هذا الا عادة لا عبادة ،
ورياضة لا طاعة ، وما نفل انه
يحظى بالقبول عند الله ، اذ المقصود
من العبادة هو الانقياد والخضوع
لله ، يقول الامام محمد عبده في
تفسير معنى العبادة : تدل الاساليب
اللغوية الصحيحة والاستعمال العربي
الصراح على أن العبادة ضرب من
الخضوع بالغ من النهاية ناشئ عن
استشعار القلب عظمة للمعبود لا
يعرف منشؤها ، واعتقاده لسلطة له
لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى
ما يعرفه منها انها محيطة به ، ولكنها
فوق ادراكه ، وللمعبادة صور كثيرة
في كل دين من الأديان شرعت لتذكير
الإنسان بذلك الشعور بالسلطان
الالهى الاعلى الذى هو روح العبادة
وسرها .

والذين لا يفقهون سر العبادة
وروحها يحاولون بفلسفتهم الطائشة
أن يتجاوزوا شريعة الله الى شريعة
الهوى والتسليط فيظنون أن
اطعام الطعام يغنى عن الصيام ، وأن
حسن المعاملة يقوم مقام الصلاة ،
وانه لا فائدة من معاناة آلام الجوع
والعطش في الصوم ، وبذل الجهد
في الركوع والسجود في الصلاة . .
خير لهؤلاء الذين يقترحون على الله
أن يغيروا النفوس ولا يغيروا
التصوص : (ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم) .

٢ السنة والبدعة

للككتور: علي عبد النعم عبد الحميد

المستشار القانوني لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

في مقال سبق جرى البيان موضحا البدعة التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها ما مست أصلا من أصول الدين فأضافت إليه ما ليس منه أو انقصت من مقدراته شيئا ، وأما ما جد في الدنيا من مخترعات واكتشافات في كل ميادين الحياة ، فلا يدخل تحت طائلة الذم ما دام مفيدا للإنسانية ، وذلك أن الدين قد كملت أحكامه ورست قواعده واستبان كل شيء فيه فلم يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرقيق الأعلى إلا وقد تركها على المحجة البيضاء لا عوج فيها ولا أمت ، وبعد أن أنزل عليه فيها أوحي إليه ربه من محكم التنزيل « .. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .. » .

ولما كانت السنة الشريفة شارحة لما أجمل في القرآن الكريم ، ومؤسسة أحيانا في بناء الإسلام ، وكانت الحكمة التي أوتيتها رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام — أقول — لهذا عني بها علماء الإسلام قديما وحديثا وحظيت منهم بدراسات وعناية لم يحظ بها علم آخر ، ووضعت لفهمها وتنقيتها مما قد يكون علق بها من شوائب قواعد وأسس لم يصل إليها علماء ملة أخرى ولا حملة دين أيا كان فصارت للسنة علوم خاصة خالصة تحفظها نقية طاهرة صافية لتمضي مع الزمان إلى جانب كتاب الله العزيز تحمل النور والهداية للناس أجمعين ، ويخرج مقال هذا العدد على ذكر بعض علومها وآدابها ..

١ — علم الحديث رواية :

الله عليه وسلم من قول أو تقرير أو عمل ، وما أضيف إلى الصحابة أو التابعين (١) .
وفائدته : البعد عن الخطأ في نقل

ويقوم على النقل المحرر الدقيق
لكل ما أضيف إلى رسول الله صلى

أقوال النبي صلى الله عليه وسلم
وانفعاله وتقريراته وصفاته .

وأول من ألف فيه محمد بن مسلم
ابن عبد الله بن شهاب الزهري
عالم الحجاز والشام المتوفى سنة
١٢٤ هـ .

٢ - وعلم الحديث دراسة :

ويقوم على مجموعة من
المباحث والمسائل يعرف بها
حال الراوى والمروى من
حيث القبول والرد (كما عرفه ابن
حجر) ويطلق عليه (علم أصول
الحديث) ويسمى أيضا علم (مصطلح
الحديث) ويعنى بتقسيم الخبر إلى
صحيح - وحسن وضعيف وتقسيم
كل من هذه الثلاثة إلى أنواع ، ثم
بيان الشروط المطلوبة في الراوى
والمروى ، وما يدخل الأخبار من علل
واضطراب وشذوذ (..) (٢) .

والراوى : هو الذى ينقل الحديث
باسناده رجلا كان أو امرأة .

والمروى : هو ما أضيف إلى النبى
صلى الله عليه وسلم .

وقالته : معرفة ما يقبل
وما لا يقبل من الأحاديث ، وأول من
ألف فيه هو القاضى أبو محمد
الرامهرمزي المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

أب السنة والحديث (٣)

محمد رسول الله هو خاتم الأنبياء
والمرسلين ، أوحى إليه بالمعقيدة
والشريعة الكاملتين الصالحتين لكل
عصر ومصر ، ولهذا تلمس بوضوح
بعد دراسة ما أثر عنه صلى الله
عليه وسلم من أقوال وأفعال ، أنه
ما ترك شيئا يؤثربواب الحياة الحرة
الكريمة بين الناس ، ويدفعهم للمضى
قدما في كل ميادين العمل النافع
المجدى ، ويمحو من بينهم ما يعكس

صفوهم وينتزع جذور النفاق والشقاق
من أرضهم إلا وحث عليه ، ووضع
أسسه العلمية وعم التمسونه ، حيث
سادت الألفة وعم التعاون على
الخير ، ومضى المسلمون جميعا إلى
هدفهم الأسسى ، وهو حمل مشاعل
الهداية الربانية إلى العالمين ، غايتهم
رضوان الله في الدنيا والآخرة ،
والحق الذى يجب أن تخضع له

العقول المنصرفة ، وتنطوى تحت
لوائه القلوب التى تنشد السلام
والخير وتنسم به المجتمعات التى
تتلهم النجاة من المزالق والمهلكات ،
وتطمح إلى مستوى إنسانى رفيع ،
وتطمح في احتلال منزلة مرموقة
تهفو النفوس إلى هداها ، وتسير
على نورها وتتقواها - أقول - ذلك
الحق هو انتهاج سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وترسم خطاه ،
والتفكير العميق في مداخل الشريعة
ومخارجها ، حتى تطبق واقعيا في
السلوك الفردى والجماعى ونظام
الدولة وخطط المعاش عامة - والا
- فقل بريك ! ماذا جئنا من

اتباع الهوى وما أفدنا من الأوبة
الفكرية الوافدة من هنا وهناك ،
اليس للناس عقول تترك وأفهام
تعى وقلوب تلين لذكر الله وما نزل
من الحق ، إلى متى نظل نعمة نذفن
راسها في الرمال ، والصائد بريشنا
غيصينا ، ويرمينا حتى يفتينا ونحن
أولو التراث المجيد ، وأصحاب
القول الفصل إذا حكم العقل
الرشد ، هل لا نحس ما صرنا إليه
من التمزق والتفرق ، وما نجم عنه
من الصراع الدبوى في كل مكان ،
وما وقعنا فيه من تأريث نار العداوة
والبغضاء والتبكين للشقاق والنفرة
بين الأخ وأخيه والولد وأبيه دون
رعاية حقوق الأرحام ، وأنت فعالنا
على كل نافع مفيد ، فاطفئنا

مصاحبينا بأنفاسنا اللاهئة جريا وراء الخراب والدمار ، وسحبنا في دامس الظلام واطلقنا من كنانتنا السهام خيط عشواء فاصبنا أنفسنا دون تمييز بين القريب والبعيد ، وأن العالم فيها هو واقع لينظر إلينا نظره الى غثة ضالة ، وتطلعان هائلة على وجوها دون راع ولا حام ، ولنمر سراعاً ببعض ما رسمه الأدب النبوي لهناء الإنسان ، مبتدئين من النواة الأولى لكل مجتمع وهي الأسرة ، عابرين الى الكون الفسيح في مختلف كيئوراته ومقوماته :

لقد عظم عليه الصلاة والسلام أمر الوالدين ، وجعل طاعتهم مكيلة لطاعة الله ورسوله ، وأوصى بالأمهات ما لم يوص بالآباء لما قاسين من مشقات الحمل والولادة والأرضاع وحسن الرعاية للصغار ، جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله : من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك ، كما جعل للأبناء على آباءهم حق الرعاية وحسن التوجيه وتيسير سبل السلوك القويم ، ومجتمع تترايط أسرته ، لا بد وأن ينمكس فضلها عليه فيخض الجميع لطبقتهم في هدوء وحب وسلام .

وبعد الأسرة الجار ، وحق الجار في الإسلام غير منكور ، فقد قال عليه الصلاة والسلام « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » يريد ضمه الى أسرة جاره كولد وذى رحم وعد من الأعمال التي ينتقى معها الإيمان ، أيذاء الجار ، فقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ... والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، وكررها طويلاً ، فقال الصحابة من يا رسول الله ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » وما الناس

الا جار ومجاوره فمتى سادت الفتنة والمحبة بين الجيران ، وأهتم كل بمصالح صاحبه فملك نهاية السعادة للوطن الذي يضمهم جميعاً .

والأصدقاء ، ولا بد في الدنيا من صديق تبته شكواك ، وتستعينه في نوازلك ، وتعتمد عليه في كربك ، وتسدى اليه الخير في يسارك ، وما أكثر ما طلب الرسول الى المسلمين أن ينتقوا أصدقاءهم فكل قرين بالقران يقتدى ، وفي أدبه الشريف تشبيه للصاحب الفاضل ببائع المسك ، والجليس السوء بناقح الكير .

فالأول اما ان يعطيك من مسكه او تشتري منه او تجد منه ريحاً طيباً فهو مصدر خير على أي حال .

وأما الثاني فلو اقتريت منه لأصابك شر ناره فأحرق ثوبك أو بدنك ، وإن حاذيته شممت ريحاً خبيثاً ، فلا يصك منه الا الشر في جميع أحواله فالأولى للماقل أن يتخير جلساءه من كرام الناس خلقاً فالمرء مع من أحب .

وحدث رسول الله على الاخلاص والتصافي بين الناس جميعاً ، وكشف عن قبح الأخلاق الملتوية التي تشوبها المنفعة الخالصة ، ويعكرها لؤم الطباع وخسة التصرفات ، وسرد من علامات النفاق أحوالاً تبين عنه ، ودلائل تشير اليه حتى يتحاشاه ذو البصيرة النيرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اثنتم خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، وطريق ترتفع منه تلك الأشواق لا شك يجهل السير فيه .

وفي الأدب النبوي دعوة قوية الى ادامة التصامح بين مختلف الفئات التي تكون بناء المجتمع العام ، فقد

روى تميم الدارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعابثهم » وهذا لتدوم اليقظة الثابتة بين الناس ولا توجد فرصة لصاحب غي كى يسدر فى غيه فتستقيم الأحوال دائما وتتمم الأمة بالعيش الهنىء .

وفيه تحريض على العمل ، وتغفير من البطالة والتكاسل ، والمساهمة فى كل أحوال الوطن الذى يجمع بين جوانبه أبناء متجانسين ، قال عليه الصلاة والسلام : « على كل مسلم صدقة ، فقالوا يا نبي الله فان لم يجد ؟ قال : يعمل بيده ، فيمنع الناس ويتصدق ، قالوا : فان لم يجد قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فان لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف وليسك عن الشر فانها له صدقة » . وهذا ترغيب فى اسداء الجليل الى الناس ، ودفع الى ترك التواكل والركبون الى الراحة ونهى عن ابداء الغير .

والبشر فى الاسلام سواء لا فضل لاحدهم على الآخر بغنى أو جاه أو جمال مظهر أو لون ، فمن آفاه الله عليه الخير ، واتخذ من يخدمه ويساعده ، فليجعله فى منزلة نفسه سواء بسواء فالمعامل خلق جاهلى ، والتأخر نعمة غير اسلامية ، عن معروف بن سويد قال : رايت ابا ذر الغفارى رضى الله عنه ، وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ، فقال انى سبابت رجلا فشكأت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : « أعيرته بأه ؟ انك امرؤ نيك جاهلية ، ثم قال : ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبيهم ، فان كلفتموهم ما يغلبيهم فاعينوهم » .

وحذر من اتباع الهوى ، ونهى عن الفوضى ، وأوجب طاعة الامام ما دام عاملا بما أمر الله به ورسوله ، فمن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

هذا : ولو ذهبا نستعرض الادب النبوى فى مسالك الحياة ومدارجها لضاق المقام ، وما انفضى القول ، وقد ذكرنا طرفا مما لا بد من ذكره ، والذى لم يتمالك كثير من علماء الغرب المعاصرين أن يشهدوا بسوءه وعظمته واحقيقته فى الخلود ، وذلك حين اطلعوا عليه فى مصادره ، والفضل ما شهدت به الاعداء ، وحذا لو أن المسلمين كانوا دعاة خير بسلوكهم ، وعناوين صادقة لاسلامهم فى أعمالهم ، وادوات صلاح فيما ياتون وما يذرون ، فعندها لا تحتاج الإنسانية الى جديد من التوجيه ولا تفكر الى فلسفات توضح الطريق الى السعادة والسلام والمحبة والوئام ، فكل ذلك كامن فى وصايا الرسول الكريم كهون النار فى الحجر يوربها الزند ، وما زندها الا التطبيق العملى ، وما أحفل الادب النبوى بالخير ، فيا ليت قومى يعلمون .

(١) الجهل الحديث ص ٢٥ للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى القاهرة ١٩٢٧ م .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور السباعى ص ١٢٦ حسب نشر دار العروبة بالقاهرة ١٩٦١ م .

(٣) السنة : كل ما اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير . كما مر بك آنفا .

والحديث : هو كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا زيادة .

اقرأ باسم ربك..

محاضرة أرتجلها الدكتور عبد الحليم محمود
وكيل الأزهر

في الموسم الثقافي الذي أقامته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في شهر رمضان الماضي
نقلها وأعدّها : عبد المعطي بيومي

آية من كتاب الله حددت موقف الإسلام من قضايا الفكر العالمية في صراحة وحزم وسمو .. وتضمنت رسالة الإسلام الشاملة عقائد وأخلاقا وعبادات (قدمها في زهاء ساعة ونصف في عشية ليلة من ليالي الاشرار الروحي فضيلة الدكتور المحاضر في أسلوب سهل .. راق رائق) .
قال فضيلته : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :
ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهبنا لنا من أمرنا رشدا .
وبعد ! ..
فان موضوع هذا الحديث أول آية نزلت من القرآن الكريم (اقرأ باسم ربك الذي خلق) .
والآية لها الفاظ ولها جو ومستحدث عن الفاظها وعن جوها بقدر الطاقة البشرية مستعينين بالله متوكلين عليه .

القرآن والعلم :

وأول ما يلاحظ أن تتبدى الآية الكريمة : (اقرأ) فهي من أول الأمر ولأول لحظة موجهة الى الجانب العلمي ، والواقع أن الأمة الإسلامية الآن في هذه

القرآن والعلم • بدعة تعارض الدين والعلم • تقييم الثقافة البشرية العقلية • الفلسفة لأرأى لها • علاج المحمدين • موقفنا من الثقافة الغربية

النهضة لابد لها من العلم أساسا تقوم عليه فإذا انحرفت عن هذا الأساس فإنها لا تقوم على أساس سليم ولا على أساس صحيح .

ومنذ البدء كان للإسلام حملة قوية في سبيل حث المسلمين على العلم ، وإن الآيات لتتوالى بعد ذلك حافة على العلم ، محبذة له ، أمرة به : حتى ليصل الأمر فيها يتملق بموقف الإسلام من العلم أن يلتبس الرسول عليه الصلاة والسلام من ربه (رب زدني علما) و (رب زدني علما) ثمار العالم المسلم الحق (رب زدني علما) في كل لحظة في كل ساعة . . في كل يوم والشعار الإسلامي هو أن من استوى يومه في الجانب العلمي فهو مقبول ومن لم يصل إلى زيادة في الجانب العلمي فهو إلى نقصان .

بل إن الأمر ليصل إلى أن الله سبحانه وتعالى يرفع العلماء إلى اسمى مرتبة إيمانية : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) فقد شهد أولو العلم في هذه الآية الكريمة مع الله وملائكته التوحيد : شهدوا أن لا اله الا هو ، وشهادة التوحيد اسمى مراتب الإيمان ، والواقع أن العلماء يصلون إلى هذه المرتبة لأنهم يرون من حكمة الله في الكون ما لا يراه غيرهم . . فعلماء التشريح يرون الأبداع المبدع ، لاتقان المتقن ، يرون هذه الحكمة الحكيمة في صنع الله سبحانه وتعالى فيخرون للأفنان سجدا له وحده ، كذلك فإن علماء الفلك يرون هذه السعة الشاسعة في الكون كما يرون تنظيمه وتنسيقه ودقة جريان أفلاكه (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يرون هذه الدقة فيخرون له موحدين في أسمى شعور إيماني .

نعم . . أنها قمة الإيمان : شهادة التوحيد ، تلك التي يشهدها العلماء مع الله والملائكة . وللايمان مراتب منها أقول : لا اله الا الله . أو أنطق : لا اله الا الله . أو اقتنع : بأن لا اله الا الله . أو أومن بأن لا اله الا الله . أو اعتقد أن لا اله الا الله وكل هذه المراتب هي دون المرتبة الأخيرة وهي :شهد أن لا اله الا الله .

ولقد أعلن الله سبحانه وتعالى أن هذه المرتبة الأخيرة — شهادة التوحيد — ينالها العلماء المقتنون بالله وملائكته في هذه الشهادة ، وإن تجد في مجالات الآداب العالمية شرقية ولا غربية أشادة بالعلم أكبر من هذه الأشادة أو أسمى من هذه الأشادة .

وإذا تصرت الأمة الإسلامية في تحصيل العلم فهي مقصرة في تحصيل
اسمى مراتب الإيمان وإذا تصرت في الجانب العلمي فهي مقصرة في المنهج الذي
دعا إليه سبحانه وتعالى وحث عليه أول كلمة من القرآن « اقرأ » .

أي علم ؟

ولكن ما هو العلم المقصود الذي دعا إليه سبحانه وأشاد به رسوله ؟ انه
العلم على وجه العموم . العلم بالكون . العلم بالطبيعة . العلم بالفلك . العلم
بالكيمياء . كما انه العلم بالتفسير وبالفقه وبغير ذلك من علوم الدين .. انه
العلم على إطلاقه المطلق ... !

هذه الدعوة الى العلم بين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة
المعلم أيضا يقول عليه الصلاة والسلام (من سلك طريقا يتقى به علما سهل
الله له طريقا الى الجنة) وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع
وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ..
وفضل العالم على العابد (وانظروا هنا التشبيه والقياس . فضل العالم على
العابد لا يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقرن في التمثيل ، العالم
وصاحب النصب أو العالم والثري وأنا العالم والعابد) وفصل العالم على
العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما
وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ..
هذه هي الدعوة الإسلامية الى العلم .

بدعة تعارض الدين والعلم :

وهنا يأتي سؤال من اين هذه البدعة الشائعة التي يروجها كثير من الملاحدة
عن تعارض الدين والعلم ؟ هل يتأتى حقيقة الأمر كذلك أن يكون هناك تعارض
بين الإسلام والعلم ولنتبصر الأمر قليلا ما هو العلم الذي يقولون انه متعارض
مع الدين ؟ انه العلم بمعناه الحديث وكلمة العلم بالمعنى الحديث تعني : القواعد
والتوانين التي اتخذت أساسا لها التجربة والملاحظة . اذن العلم الذي يعنونه
ميدان الكون .. الطبيعة .. العالم المحسوس .. عالم المادة .. وما دام الأمر
كذلك فلا يتأتى مطلقا أن يكون هناك تعارض بين عالم الألوهية عالم الإيمان ..
عالم الأخلاق .. عالم التوحيد .. عالم العقائد .. وبين العالم الذي مجاله
محدود بالمادة والحس ، فان دائرة الدين ودائرة المادة والحس مختلفتان فلا يتأتى
أن يكون هناك تعارض . فكيف نشأت اذن فكرة التعارض بين الدين والعلم .
الواقع انها لم تنشأ في ربوع الإسلام بل ولم تنشأ في الشرق وانما نشأت
في أوروبا ، والسبب بسيط ومعروف عند كل من درس تاريخ الفكر في أوروبا .
في يوم من الأيام في العصور الوسطى تبنت الكنيسة آراء أرسطو في
الطبيعة وما وراء الطبيعة واتخذت هذه الآراء قاعدة ومقياسا ومقدسا من

المقدسات ، وارسطو شخصية بشرية تخطيء وتصيب فلما بدأت النهضة وقامت على أساس الملاحظة والتجربة بدأت ترى ان طبيعة ارسطو .. كيمياء ارسطو .. اخلاق ارسطو كل ذلك منهار، وبدأ العلماء يبرهنون على انهيار نظريات ارسطو في الطبيعة وغيرها ، وكان كل عالم يحاول الخروج على فكر ارسطو كانت الكنيسة تنكل به ، تبعث به الى السجن ، تمذبه على اى وضع من الاوضاع ، وكانت هناك محاكم التفتيش تنكل بكل من خرج على آراء ارسطو . وآراء ارسطو التى يمكن بسهولة هدمها والتى تنهار على يسر انما هى الآراء فى الطبيعة والكيمياء والفلك ، ولم يكن عند ارسطو الوسائل التى تمكنه من الاجادة فيها يتعلق بعالم الكون ، عالم المادة ، عالم المحسوس ، فأخفق فى كل خطواته وكان انهياره فى عصر النهضة تاما شاملا . ولكن العلماء لم يكفوا : كانوا يبرهنون على اخطاء ارسطو فى عالم المادة . وشاعت فكرة التعارض بين الكنيسة والعلماء ، وانتهت هذه الفكرة بأن صارت — بعد تحريفها — تعارضا بين الدين والعلم ، وتناقلها الاوربيون . واسبابها معروفة فى اوربا . ثم كان هناك هؤلاء البيغوات فى الشرق الذين يريدون ان ينقلوا كل ما فى الغرب الى الشرق ، والذين يمتدحون ان البيئة الشرقية هى البيئة القريبة تماما بنظام فى جوها الفكرى وفى جوها الروحى والايمانى .. وأخطأوا فليس هناك تعارض بين الدين والعلم وليس هناك تعارض بين الاسلام والعلم على وجه الخصوص .

هدف القراءة فى الاسلام :

وننتهى بذلك من كلمة اقرا ويأتى بعد ذلك « باسم ربك » ، انه لم يقل اقرا وينتهى الامر وانما قيدها ، قيدها لا فى مجالها ولا فى موضوعها ولم يقيدها فى السماء ولا فى الارض ولا فى ما بينهما وانما قيدها فى النوايا .. فى الاهداف والغايات ، قيدها بأن تكون : « باسم ربك » وقد يقرأ الإنسان ويقول : اقرا باسم المصلحة العامة وأكثر الناس يقرأون باسم المصلحة العامة ، وقد يقرأ الإنسان باسم ملك او باسم الوطن وهؤلاء جميعا يختلفون ويتعارضون وهم وان اختلفوا وتعارضوا فانهم جميعا يقرأون باسم الوطن او الملك او المصلحة العامة او الى غير ذلك من الأمور ، وليست هذه هى القراءة الاسلامية ان القراءة فى الاسلام لا تكون باسم المصلحة شخصية او عامة ، انما يجب ان تكون القراءة باسم ربك .

اقرا رمز لكل عمل :

وكلمة القراءة هنا رمز فلا يعنى القرآن أبدا فى اقرا باسم ربك القراءة وحسب ، وانما يعنى بـ « اقرا باسم ربك » رمزا لكل ما يمكن عمله فى الحياة . عمل باسم ربك . قم باسم ربك . تحرك باسم ربك . نم باسم ربك .. لتكون حياتك حركة وسكونا قولاً وعملاً فعلاً وتركاً ليكون كل ذلك باسم ربك والآية التى تفسر ذلك بعض التفسير قوله تعالى : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك ابرت وأنا اول المسلمين) فالصلاة والنسك والحياة بأكملها بل والمات والمات ايضا لله رب العالمين يجب ان يكون كل ذلك لله رب العالمين وفى سبيل الله رب العالمين أو يجب ان يكون كل ذلك « باسم ربك »

ومهما تعددت أنواع الأعمال في الحياة ومهما تعددت أصناف الأقوال فالمسلم مادام قد دخل في الإسلام وما دام قد عقد مع الله بيعة الإيمان فإن حياته كلها يجب أن تكون باسمه تعالى .

فاقرأ رمز إذن تعنى تعلم أو اعمل أو امتنع عن العمل ، وإذا عملت فيجب أن يكون عملك باسم ربك ، وإذا امتنعت عن العمل فلا بد أن يكون الامتناع أيضا باسم ربك .

وإذا كانت اقرأ في جانب الإيجاب وإذا كانت قل أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي في جانب الإيجاب أيضا فإن هناك آيات في جانب السلب مثل قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق) وكل مالم يذكر اسم الله عليه فإنه فسق .

الإيجاب والسلب الحركة والسكون الأقوال والأعمال الصمت كل ذلك يجب أن يكون باسم ربك .. ونأتي بعد ذلك إلى (اسم ربك) .

التربية الإلهية هي إطار الإسلام :

كنا نعتقد أن تأتي أول آية في القرآن قائلة اقرأ باسم « الله » لأن كلمة الله هي الكلمة التي تظوى على كل الأسماء والصفات الإلهية أنها الكلمة التي تتضمن جميع المعاني ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يقل اقرأ باسم الله وإنما قال : اقرأ باسم ربك ولم يعبر الله سبحانه وتعالى بـ « ربك » مصداقة أو اعتباطا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وأعمال الله سبحانه وتعالى أعمال حكيمة والمعنى هنا : اقرأ باسم الربى أو اقرأ باسم التربية الإلهية : إذا دخلت في هذا النظام الذي يسمى الإسلام فوطن نفسك منذ المبدأ على أن تكون قراءتك وحياتك في إطار التربية الإلهية فإذا خرجت عن إطار التربية الإلهية فقد خرجت عن هذا النظام ، اقرأ في إطار التربية الإلهية إيجابا وسلبا ، اقرأ في إطار التربية الإلهية قولا وعلا وحركة وسكونا ، فإذا لم تفعل ذلك غلست داخلأ أبدا في نطاق هذا النظام .. الإسلام ..

كيف تكون الثقافة باسم ربك .. ؟؟

ونحن الآن في خضم من الثقافات الموأدة من الغزو الفكرى كيف تكون القراءة باسم ربك . ؟ والواقع أن الإسلام فرق منذ المبدأ بين أمرين وأوجب أن تكون هذه التفرقة ظاهرة بين أعين المصلحين في الأمة الإسلامية : فرق بين مجال المادة الكيمياء والطبيعة والفلك إلى آخر هذه النواحي ، وبين مجال الثقافة النظرية البحتة ، الثقافة التي تتصل بما وراء الطبيعة وبالأخلاق .

أما فيما يتعلق بالمادة : بناحية الحس ، بغزو الفضاء ، بالصواريخ ،

بالذهاب الى القمر ، بكل ما يتعلق بهذا الكون المادي بأرضه في أعماقها ببحاره في أغوارها ، بسمائه في فضاءها الشاسع ، بسمواته بالكواكب : فان القرآن والاسلام أوجب علينا وجوبا أن نسخر كل ذلك . والله سبحانه وتعالى قد أمّن علينا أن نسخر لنا الأرض والكواكب والقمر فذكر كل ذلك صراحة ومسخر لنا ما بين السموات والأرض فإذا أردنا الاستجابة لله سبحانه وتعالى فيجب أن نكون أول المسخرين للأرض والسماء وما بينهما من الشمس والقمر ، يجب أن نكون من أوائل أو من آتمة الذين يكتشفون كل ذلك ويسيطرون على كل ذلك وأن نحن تأخرنا في جانب من هذه الجوانب فنحن آثمون دينيا ووطنية وعروية واسلاما وآثمون في حق أنفسنا باعتبارنا أمة من الأمم أو جنسا من الأجناس . هذا الجانب أوجبه الله سبحانه وتعالى وسماء المسلمون تسمية جبيلة سسوه « اكتشف نوايس الله في الكون » وبينما الاسلام يوجب هذا الجانب فإنه يفت موقفا حاسما من الثقافة النظرية الدخيلة وفي هذا المجال يمكننا أن نذكر بعض القصص .

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر رضي الله عنه يقرأ في صحيفة من التوراة فقال له ما هذا يا عمر قال أنها صحيفة من التوراة وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ويخاطب سيدنا عمر بلهجة ليست هي لهجة الود المالومة بين الرسول وعمر بل يقول له منتها : « انتهكون فيها يا ابن الخطاب يعني انتشككون فيها في ملتكم في دينكم في شريعتكم ، والله لو كان موسى حيا لما حل له الا اتباعي مالم تذهبون الى التوراة أو الى غير التوراة من الكتب وعندكم كتاب الله ويطيع سيدنا عمر مستجيبا لما حثه عليه رسول الله قائلا « رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسأ نبيا ورسولا » .

وينتهي الأمر فيها يتعلق بالتوراة . وهناك صورة أخرى : حدث أن بعض الصحابة كانوا مع اليهود وهم يقرأون التوراة فتخشع الصحابة تقول الرواية تخشع الصحابة أي خشعوا معتقدين أن التوراة — في أساسها — كتاب منزل من الله وأن كان قد حدث له تغيير أو تبديل فلم يحدث له ذلك في جملته . وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك بمجرد تخشع صحابته لسماع التوراة فقرأ على الصحابة معاتباً « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب ينظروا عليهم أن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » ما بالهم يتخشعون للتوراة وعندهم كتاب الله سبحانه وتعالى وينتهي الأمر بالصحابة الى أن لا يفعلوا مرة أخرى مثل ذلك فان الرسالة الاسلامية لها ذاتية معينة فإذا فقدت هذه الذاتية وانماعت في الثقافات والأمم الأخرى فان الأمة الاسلامية لا يصبح لها مبرر لوجودها لأن مبرر الوجود للأمة الاسلامية هي رسالتها وذاتية هذه الرسالة .

هذا هو الرسول صلى الله عليه وسلم يبرهن للصحابة أن هدايتهم في رسالتهم وأن بقاءهم ووجودهم مرتين ببقاء هذه الرسالة فيجب ألا يكون هناك ما يلوث هذه الرسالة من قريب أو من بعيد حتى ولو كان توراة أو كان انجيل . يجب علينا أن نكون في اطار هذه التعاليم : اقرأ باسم ربك . . لا باسم افلاطون ولا ارسطو ولا ديكارت ولا داروين ولا كارل ماركس وانما باسم ربك . .

تقييم الثقافة البشرية العقلية :

هذه الثقافة البشرية الغازية ما وضعها في حقيقة الأمر وحين نحاول أن

نحدد وضعها في حقيقة الامر ان نلجأ الى رأينا الشخصي بل الى حقائق التاريخ والواقع .

أما وضعها الحقيقي فهي متغيرة لاثبات لها وفي كل يوم هناك « مودة من المودات » وكأي « مودة » تنشأ وتتطور وتعم ثم تأخذ في التقلص وتنتهي ليجل محلها « مودة » أخرى وتيار آخر وموجة أخرى وكل شخصية من الشخصيات التي أثرت في التاريخ لها دور يبدأ وينتهي ولتأخذ مثلا شخصية من الشخصيات ، لا نأخذها هي بالذات وإنما نأخذها كبثال ، هناك مثلا : (أوجيست كونت) مؤسس علم الاجتماع أو الفيلسوف الأكبر في عهده فيما يتعلق بعلم الاجتماع . . . كانت فرنسا أن تؤلهه وكانت أوربا جميعها أن تقدسه ثم لم يمض الا قليل حتى انتهى أوجيست كونت وأصبحت آراؤه مجموعة من خرافات العهد الماضي لا قيمة لها في العهد الحاضر وكل شخصية على هذا المثل تنشأ وتتطور وتعم وينتهي الامر بان تندثر وتنهيار وتزول وإذا أردنا أن نقول الحقيقة الخالصة فإنا نقولها ، وعلى أرض صلبة : ، هذه الثقافة البشرية الغربية هي مجرد سومطالية .

حقيقة انهم يفرقون بين شخصيات كالسومسطائية وبين شخصيات ديكارت مثلا لكن في حقيقة الامر فان هذه التفرقة ليست على أساس سليم . لماذا ؟ لأنه — وهذه نقطة من أهم النقاط — في مجال الثقافة النظرية ليس هناك مقياس للحقيقة والخطأ ، للصواب والوهم ، للبطل والصدق . لقد حاول العلماء منذ العصر اليوناني الى الآن إيجاد هذا المقياس فلم يمكنهم إيجاده المقياس العقلي للثقافة العقلية ، المقياس الذي يفرق بين الحق والبطل وبين الصواب والخطأ لم يوجد لأن ، حاول أرسطو إيجاده فيما سموه بالمنطق فلم يفلح وأخفق المنطق إختفا كما لا وقد حاول ديكارت إيجاده فأخفق .

ولقد أعلن ديكارت يوما انه وجد المقياس وأشادت أوربا بديكارت لأنه عثر على مقياس الحقيقة وأعلن ديكارت أيضا انه سيؤلف مذهباً في الطبيعة وفيما وراء الطبيعة وسيؤلفه على هذا المقياس الذي وجده وألف ديكارت مذهباً في الطبيعة وقبل أن تنتهي حياة ديكارت أعلن العلماء أن مذهب ديكارت في الطبيعة باطل .

وهكذا بقيت هذه الثقافة العقلية لأن في جميع ادوارها وعصورها ثقافة ظنية وكلما جاءت أمة لعنت أختها ولو كان في هذه الثقافة العقلية يقين لظهر ولو في موضوع واحد وتصوروا أن جميع قضايا الثقافة العقلية منذ أن نشأت في العصر اليوناني حتى الآن ليس فيها قضية واحدة اتفق عليها وهذا شيء بديهي معروف ولكن هذا التعميم الذي أعنيه قد لا يكون واضحاً عند بعض العقول ولكنه شيء بدهي معروف عند مؤرخي الفكر .

الفلسفة لا رأي لها :

ويمكن أن نقول ونحن من الصدق بمكان أن الفلسفة — والفلسفة هي قضايا

عقلية بحتة - لا رأى لها فى أى موضوع من الموضوعات ولا فى أى قضية من القضايا لأن كل موضوع من الموضوعات فيه راىان أو عدة آراء فهناك فى كل موضوع المنكر له والمثبت ، فليس هناك موضوع واحد فى قضايا الفلسفة أو فيها وراء الطبيعة والأخلاق إلا وفيه الرأى المثبت والرأى المنكر فالفلسفة فى حقيقة أمرها لا رأى لها .

ومن أجل ذلك لا تطور فيها ولا تقدم بخلاف العلم المادى القائم على الأسس المادية لأن هناك التجربة التى تفرق بين الخطأ والصواب ومن أجل ذلك فإن كل عالم يأتى يبنى على ما وصل اليه من سبقه ، أما الفلاسفة فكل فيلسوف يأتى يهدم ما قبله من آراء ويبنى آراء جديدة وهى من أجل ذلك لا تتطور والفلاسفة أنفسهم هؤلاء الذين يبحثون فيها وراء الطبيعة والأخلاق يؤمنون بأن آراءهم ظنية لا ثبات لها .

وكل هذا يهدينا ويرشدنا الى أنه يجب أن نقرأ باسم ربك يجب أن تكون أخلاقنا وتشريعنا فى إطار التربية الإلهية ومن هنا كانت الحكمة فى عدم التعبير بـ « اقرأ باسم الله » والتعبير بـ « اقرأ باسم ربك » ونأتى الآن الى قوله تعالى فى الآية الكريمة : « الذى خلق » .

لماذا نقرأ باسم ربك :

ويمكن أن يتساءل الإنسان .. ماهى الضرورة التى توجب أن نقرأ باسم ربى ولم لا نقرأ باسم افلاطون أو أرسطو ونأتى كلمة « الذى خلق » كبرهان طويل عريض على ضرورة القراءة باسم ربك .. باسم الذى خلق والذى سوى والذى نسق كل خلية فيك ورتب كل ذرة فى جسمك . اقرأ باسم الاعرف بك والاعرف بما يتناسب معك وهو الذى وضع لك هذه التربية ، وهذا الذى خلق ، تربيتة ليست تربية من لا يعرفك وإنما هى تربية الذى رتب وسوى ونسق فهو اعرف بك منك وأعرف بما يتناسب معك .

وهكذا فإن (الذى خلق) هى البرهان الذى يحسم الأمر فى أن لا نقرأ باسم افلاطون وأرسطو لأنهم يمدحون عنك بل هم بشر من البشر يخطئون ويمسيبون ولكن (الذى خلق) لا يتأتى أن يخطئ سبحانه وتعالى .. هذا هو الجو الذى نأخذه من الإلفاظ ..

الصدق هو الجو العام :

ونأتى بعد ذلك الى الجو العام للآية أى أننا لن نتجه هنا الى الإلفاظ لفظا لفظا وإنما نتجه الى الآية بشكل عام لنتعرف على جوها العام .

(اقرأ باسم ربك) أنها بدوها تحمل الصدق فى نفسها لا تحتاج مطلقا الى مناقشة ولا الى ماهرة فيما يتعلق بالصدق ، يدعوك الى أن تقرأ باسم ربك والى أن تتجرد لربك . لا يدعوك باسمه ولا باسم مصلحة وإنما يدعوك وقد تجرد من كل هذه النوازع المادية والنفسية وهو يدعوك أن تتجرد لله سبحانه وتعالى هذه الدعوة لا يمكن أن تكون خطأ لأنه ما للصواب حينئذ ؟ أنها مجرد دعوة الى أن تتجرد لله سبحانه وتعالى فى حياتك ومن أجل ذلك فحين سسمعها لأول وهلة

ورقة بن نوفل قال : هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى وآمن . آمن بها من غير دليل لأن الجو العام يقضى الى الصدق ويهدى الى الحق ولا يمكن أن يتخلله باطل أو يقشاه كذب .

فالصدق إذن هو جو الآية الكريمة . الصدق أينما كانت وكنا : شرقا أو غربا قديما أو حديثا لا يتغير جو الآية بحسب الزمان ولا بحسب المكان لا يمكن لمؤمن أيا كان أن يقول أن هذه الآية فيها كذب أو شبهة كذب . وهى حين تحبل الصدق فى نفسها تعتبر مرادفة لكلمة أخرى لا تحتل إلا الصدق أيضا تلك الكلمة هى : « الاسلام » . الكلمة التى هى عنوان لهذا الدين وهى تحبل الصدق فى نفسها لأنها تعبير موجز لقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك » وهذه تعبير موجز لقوله تعالى : « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

ذلك أن معنى الاسلام أن تستسلم لله سبحانه وتعالى أن تولد نفسك على أن تكون فى إطار التربية الالهية .

اسلام .. اقرأ باسم ربك .. وتوحيد أيضا .. يتفق كل ذلك ويتطابق مع كلمة الدين الخضوع لله . الاستسلام له فالاسلام تسليم مطلق . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو ؟ فقال لله يسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك فإن يسلم لله قلبك هذا هو معنى اقرأ باسم ربك وهذا هو الدين وهذا هو : قل إن صلاتى ونسكى .. الخ .

والواقع أننا منذ المبدأ مباشرة فى جو من الصدق إذا تدبره الانسان فلا يتأتى الشك فيه أو الممارسة .

مسألة وجود الله فى الاسلام :

وإذا كان الصدق جو من أجواء الآية فهناك جو آخر ذلك أننا كنا ننتظر أيضا أن تبدأ الرسالة بالاستدلال على وجود الله ولكن الرسالة الاسلامية لم تبدأ بالاستدلال على وجود الله وإنما بدأت بأن افترضته سبحانه وتعالى موجودا لأشك فى ذلك وأيا المشكلة الكبرى أو المهمة الأساسية للدين هى أن تقرأ باسم ربك أى أن تكون حياتك فى إطار التربية الالهية .

ومسألة وجود الله سبحانه وتعالى مسألة لم توجد قط قبل العهد اليونانى وقد كانت البشرية قبل العهد اليونانى لا تنكر وجود الله ولا تلحد فيه بل كانت بالعكس تعتقد فى أكثر من اله . نزل آدم عليه السلام بالتوحيد الخالص وانحرفت الإنسانية لا الى الإنكار بل الى التعدد عليها عم الإنكار أو أوشك أن يعم نزل رسول مبشر بالتوحيد ، وكل رسول كان مبشرا بالتوحيد . وحينما تنتهى الحياة بالرسول يبدأ الانحراف فى الإنسانية لا باتكار وجود الله بل بالاعتقاد فى أكثر من اله فينزل رسول ثالث وحكمة ارسال الرسل كانت فى أساسها

التبشير بالتوحيد وحينما نتصفح التوراة لا نجد فيها — حتى على وضعها الراهن — اثبات وجود الله كهدف من الأهداف فلم يكن وجود الله مشكلة حتى يكون اثبات له ثم جاءت قبل المسيحية الفلسفة اليونانية وحينما جاءت الفلسفة اليونانية كان الدين الذي عليه اليونان ديناً خرافياً أسطورياً وذلك معروف ونشأ في هذه الفترة اليونانية القديمة كثير من الناس لم يرفضوا بهذا الدين ديناً فحاولوا أن يكونوا لأنفسهم ديناً فبدأوا عقلياً باثبات وجود الله وجاءت المسيحية محررة منظمة للأمر ذاهبة إلى وضعها الصحيح وتركت خرافة أو أسطورة أو بدعة اثبات وجود الله وليس في التجليل محاولة من قرب ولا من بعد فمهما يتعلق باثبات وجود الله ، ولكن العقلية اليونانية التي أضرت بالبشرية كلها والتي سارت مع أديانها دائماً منحرفة بها إلى الوضع البشري بدل أن تتبع هذا السمو الذي أحبه الله للإنسانية بقوانينه وتوابعه كانت العقلية اليونانية تتحرف بالإنسانية إلى أن تتلوث أفكارها بالبشرية بالعقلية البشرية الغير معصومة والتي تخطئ وتصيب وقد انحرفت المسيحية إلى الوضع الذي أصبحت فيها مسألة وجود الله مشكلة يجب الاستدلال عليها .

وجاء القرآن وذهب بالإنسانية إلى الوضع الصحيح مسألة وجود الله فيه مسألة فطرية وليست من مسائل المناقشة أو الجدل أو الاستدلال بل أن وجود الله في القرآن من القداسة بحيث لا يوضع موضع الجدل ولا موضع المناقشة ولا موضع الاستدلال ليس هناك هدف في القرآن هو اثبات وجود الله هناك مثلاً هدف في القرآن هو اثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم اثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك آيات كثيرة بهذا الصدد وآيات كثيرة في إثبات التوحيد صراحة أو ضمناً وبكل وسيلة من وسائل الإثبات تلك أهداف من أهداف القرآن لكن تجرد القرآن تماماً من هدف اثبات وجود الله إذ لا يتأتى مطلقاً أن يضع الله نفسه مسألة وجوده موضع استدلال لأن الاتجاه إلى الاستدلال ينطوي في ثنائيه على أن الأمر الآخر — وهو الإنكار — محتبل ، ولا يتأتى أن يضع الله مجرد وجوده لصفة من صفاته موضع مناقشة واستدلال للأخذ والرد ومن أجل ذلك لم يكن هناك في أول آية نزلت من القرآن محاولة لهذا الإثبات .

ثم حينما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلن الإسلام ويجهز به لم يبدأ باثبات وجود الله وإنما بدأ بالأسلوب الصحيح القويم . . التحدى بصدقه . . اثبات أنه صادق ، هل عهدتم على كذباً ؟ أعلنوا جميعاً أنهم لم يعهدوا عليه من كذب قط ، وأنه كان صادقاً طول حياته . وكان من المنطق حين أعلنوا عن صدقه أن يؤمنوا بها جاء به لكتم لم يؤمنوا لأسباب كثيرة تحدث عنها القرآن منها مثلاً : التنافس القبلي . الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحاول اثبات وجود الله .

ولكن من الغريب أيضاً أنك إذا تصفحت العهد المكي لا تجد سؤالاً وجه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اثبات وجود الله ولا تجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث عن هذا الإثبات وإذا انتقلنا إلى عهد سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلى لا نجد المسألة تطرح على بساط البحث وإذا سرنا إلى عهد الأمويين حتى عند نشوء المعتزلة في آخر عهد الأمويين والمعتزلة سمووا أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، عدل الله وتوحيد الله

اقرأ باسم ربك

لم يدرك في خلدكم مسألة اثبات وجود الله وهكذا الأمر إلى عهد المأمون ، في هذه الفترة — من بدء الإسلام حتى عهد المأمون — لم يدرك أبدا نقاش ولا جدل ولا حديث عن مسألة وجود الله اثباتا ولا انكارا وإنما القضية مسلمة في كل هذه الأجواء وفي كل هذه الميود .

في عهد المأمون ترجمت الفلسفة اليونانية ولما ترجمت الفلسفة اليونانية ترجمت بكل ما فيها من أضاليل وبكل ما فيها من أوهام وانحرافات وقد انحرفت الأمة اليونانية في الفن وانحرفت في الأدب والفلسفة والفكر وانحرفت في كل المجالات التي تحدثت عنها وخاضت فيها وهذا الانحراف هو الذي أثر على الأمم في مجال التاريخ الواسع لأنها انحرفت إلى البشرية، والإنسان ميل بطبيعته إلى أن يحقق بشريته التي تخطيء وتصيب وتهتدي وتضل ، وليس ذلك بالأمر الصعب على الإنسان بل إن الإنسان يدفع بفريزته إلى أن يحقق بشريته وما أتت الأديان إلا لترتفع بالإنسان إلى درجة من الدرجات الإيمانية التي يحبها الله ويحبها رسوله .

ترجمت الفلسفة اليونانية في عهد المأمون كما قلنا وكان المسلمون قبل ذلك يرون أن هذا الذي يترجم أن كان في مجال العقائد حقا فمعنينا ما هو أحق منه وهو عقيدتنا بالأسلوب القرآني فقرأنا بأسلوب عربي مبين ، هو الأسلوب الإلهي الدقيق في نصرته في صفاته في قوته في دقته مالنا وللبشر الآخرين في البينات والأديان الأخرى نترجم ثقافتهم في العقائد وهل عندنا نقص في هذا المجال .. كان ذلك شعور المسلمين وكان الأمر كذلك في مجال الأخلاق فمعنينا مصدران .. الكتاب والسنة وإن كانت الأخلاق الواردة حقا فمعنينا ما هو أحق منها وإن كانت باطلا فنحن في غنى عن هذا الباطل .

وتحدى المأمون شعور المسلمين الاتقياء تحداهم في صراحة وأمر بترجمة الثقافة اليونانية في غتها وسميتها في خطئها وفائدتها في انحرافها وعدم انحرافها وأقت مع هذه الثقافة فكرة اثبات وجود الله .. هذه الثقافة كان من الممكن أن تكون محدودة لولا أن الأمراء في عهد المأمون حاولوا التقرب إليه ، ومن وسائل التقرب أن يكونوا مع هوى المأمون ، وهواه في ترجمة هذه الثقافة وبذلوا هم الآخرون الأموال في ترجمتها . الأثرياء حاولوا كذلك التقرب إليه بهذه الترجمة فبذلوا هم الآخرون أموالهم في هذا السبيل كما حاول المثقفون نفس الشيء فاقبلوا على تعلم الثقافة اليونانية وتعليمها وشاعت الثقافة اليونانية . وبدأت ينفر منها المسلمون الاتقياء وبدأت كبتها ليست لها شرعية الإقامة ولكنها أخذت تتخذ مظهر الشرعية في الإقامة وإقامت واحتلت أرض المسلمين واذهانهم وعقولهم وبدأت مسألة وجود الله معها تتخذ مظهر المشكلة بل انتهى بها الأمر إلى أن أصبحت المسألة الأولى في علم الكلام الإسلامي مع أنها بدعة يجب أن تزول من الجور .

علاج الملحدين :

وهناك من يتسائل عن الملحدين كيف يناقشهم والواقع أن المحدث لا يؤمن بالمناقشة بل هو الذي يحاول أن يجرك إليه . أن يجعلك من الملحدين ما استطاع

الى ذلك فان الملحدين في اغلبهم الاعم طائفة ماجورة تنطق باسم الاجر الذي تأخذه واذا لم يكن أن يتخلى عن أجره اذن لا يتخلى عن مكرته ولو ظهر له الحق.

ولكن ما هو الحل الاسلامي لموضوع الملحد ؟ الواقع أن هناك مقدسات في كل دولة مثلا أمريكا من مقدساتها الرأسمالية وكل دعوة الى الشيوعية في عرف أمريكا تذهب بصاحبها الى السجن والتفكيك، وروسيا من مقدساتها الشيوعية وكل دعوة الى الرأسمالية في روسيا تذهب بصاحبها الى التفكيك والتعذيب والسجن . للدول مقدسات واقدس مقدسات الدولة الاسلامية هو الايمان بالله ويجب على الأهل أن يكون لنا في القانون ما يشبه ما في قوانين أمريكا وروسيا فيما يتعلق بمقدساتها اما الحل الاسلامي في نفسه فهو أن الملحد مرتد يستتاب والا قتل وتنفذ هذه الفكرة في شخص واحد في قطر فسوف لا تجد في هذا القطر ملحدا واحدا واذا نفذ نظام الاسلام كان ذلك هو الحل الوحيد لازمة — ان كان هناك ازمة — الانحراف الاحادي في الامة الاسلامية .

موقفنا من الثقافة الغربية :

والسؤال الاخير الذي اسأله واجيب عليه لنتهي من هذه المحاضرة هو ما قد يقوله قائل : ماذا نفعل بهذه الثقافة الغربية ، انتركها تركا باتا لا نتفهمها ولا نمقلها ولا نبحث فيها ، اننعزل عن هذا العالم ؟

وهذا ما لا ادعو اليه ولا أقول به انما الذي أريده من المسلمين أن يأخذوا هذه الثقافة بأخذها الواقعي الصحيح أي انها ثقافة بشرية ثقافة معارضة بالثقافات الاخرى البشرية في الميئات الغربية أيضا ، انها ثقافة لا نسبة لها الى الصديق الاكنسية الراي المعارض، ومن أجل ذلك كانت كلها منذ أن وجدت الى الآن ظنية وليس فيها مسألة عقلية واحدة يمكن اثباتها في يقين ، ولقد كان منهج الامام الغزالي في تحدى الفلاسفة منهجا من اقوى المناهج : انكم تقولون بالعقل ، وتثبتون بالعقل وما انذا أجعل جميع آرائكم منهارة بالعقل نفسه وليس منطقي بأقل من منطقتكم بل ربما يكون اقوى . وهدم الامام الغزالي جميع آراء الفلاسفة بالعقل نفسه الذي برهن به الفلاسفة على جميع آرائهم .. اذا اخفنا الثقافة الغربية النظرية على انها قضايا عقلية ظنية لا ثبات لها تنشأ وتنتهي ، اذا اخفناها على هذا الوضع فليس هناك من بأس من أن نعبث فيها اذا شئنا أن نعبث في يوم من الايام .

والوضع الصحيح أن يكون المنبع الوحيد لثقافتنا لآخلاقنا لتشريعنا لمعتقدنا هو ما احبه الله ورسوله : القرآن والسنة « ومن يعصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » .

التعريف الدبلوماسية

في

تمهيد :

السفير في اللغة هو الرسول والمصلح بين القوم وجميعه سفراء ، وقد جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي في مادة سفر : « سفر وأسفر بين القوم أصلح ، ومصدرها سفر وسفارة - بكسر السين وفتحها - فهو سفير » . كما جاء في لسان العرب : « وقد سفر بينهم يسفر سفرا وسفارة بمعنى أصلح . وفي حديث الامام علي رضي الله عنه انه قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه : ان الناس استسفروني بينك وبينهم اى جعلوني سفيراً وهو الرسول المصلح بين القوم . يقال سفرت بين القوم اذا سمعت بينهم في الإصلاح .

ويتبين من هذا أن سفارة كلمة عربية أصيلة ، وذلك على خلاف كلمة دبلوماسية فهي من الكلمات المستوردة التي لم تدخل في لغتنا الا حديثا ، فان العرب في الجاهلية والاسلام لم يكونوا في حاجة اليها بالنظر الى وجود لفظة عربية الاصل تغطي مدلولها وتغني عنها ، وترجع كلمة دبلوماسية في أصلها القديم الى اللغة الاغريقية وكانت تعني الوثيقة أو المكاتبة التي تطوى كما يطوى الخطاب أو الصحيفة أو السجل ، ويبحث بها الحكام بعضهم الى بعض في علاقاتهم الرسمية ، وتخول حاملها امتيازاً خاصاً .

وقد انتقلت هذه الكلمة من اليونانية الى اللاتينية ومنها الى اللغات الأوروبية كالانجليزية والفرنسية ثم الى اللغة العربية وتطور استعمالها في أكثر من معنى عبر المصور المختلفة حتى أصبح مدلولها في العصر الحديث ينصرف الى فن ادارة العلاقات الخارجية للدولة ، أو هو بمعنى آخر ممارسة الدولة لسياستها

الجاهلية والإسلام

لأستاذ : حسن فتح الباب

الخارجية من طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية دونما حاجة الى تنفيذ سياستها في المحيط الدولي عن طريق الالتجاء الى الحرب . وثمة معان أخرى متنوعة تستعمل فيها كلمة الدبلوماسية جوازا ، إلا أن المخلول الذي اشرنا اليه هو المعنى المألوف والأكثر شيوعا . ومن هذه المعاني المتعددة التفاوض أو المفاوضات فيقال : حل النزاع بالطرق الدبلوماسية . ومنها الكفء والكياسة وما ينطوي عليه هذا المعنى من اللباقة وحسن التصرف لكسب الود والثقة ، أو لاتقاء مشكلة ، أو للحيلولة دون نشوب نزاع أو استفحال خلاف ، أو لتحقيق غاية بعيدة بالأساليب الودية دون استخدام العنف . وما زالت الدبلوماسية تستخدم بمعناها الذي استعملها فيه الرومان وهو صلات المبعوث أو السفير أي الشخص الذي يوعد في مهمة ، وما قضت به تعليمات السفارة حينئذ من وجوب التزام الأدب والوافر واصطناع المودة وتجنب أسباب النقد .

ويستخدم لفظ الدبلوماسي والسفير بمعنى واحد أي انهما لفظان مترادفان . وقد استقر الاصطلاح في العصر الحديث على : أن السفير هو المبعوث الذي توفده دولة ما في مهمة من المهام ، فيسمى لاتجازها عن طريق المحادثات وغيرها من الأساليب الدبلوماسية مع ممثلي الدولة المرسل لديها ، وهو — بتعبير آخر — وكيل حكومته المرخص بتمثيلها لدى أي دولة أخرى في جميع المفاوضات الهامة . فالسفير في عرف علم السياسة هو ذلك الشخص المرسل رسميا من دولة الى دولة أخرى ليكون نائباً عنها أو وكلا لها — وقد تكون مهمته قاصرة على نقل رسالة شخصية أو خطاب شفهي أو مذكرة الى رئيس تلك الدولة أو الى أصحاب السلطة فيها .

ويخلق القانون الدبلوماسي على السفراء والمبعوثين حصانات واعفاءات

معينة تعرف بالحقوق والامتيازات - الدبلوماسية التي نشأت بتواتر العرف الدولي ، وللسفارات أغراض شتى تختلف باختلاف مقاصد الدبلوماسية وأهدافها . فثمة سفارات تجارية ، وسفارات سياسية ، وأخرى عسكرية .

المبحث الأول :

الدبلوماسية في العصر الجاهلي

ولقد كان المعنى الحديث لكلمة سفارة مجهولاً في تاريخ العرب والإسلام ، فكانت السفارة في الجاهلية من المناصب التي دانت لقبيلة تريض وسلطانها ، وكان معناها عندهم أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وأرادوا المخابرة بشأن الصلح يبعثوا سفيراً ، وإن نافروهم حتى لمخافة جعلوا السفير مفاوضاً ورضوا به .

ومن ثم عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة ، فاستخدموه في تنظيم العلاقات بين بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم . وكان من الطبيعي أن تكثر الوعادات والسفارات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بوصفها وسيلة ليس ثمة بديل عنها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة ، ولتبادل المنافع مع جيرانهم وخاصة في الشرق والشمال فضلاً عن حاجتهم إلى كسب الانتصار في المعارك الفسارية التي كانت تشب بين القبائل أو لوقف هذه المعارك . ومن ثم أدت السفارات أغراضها لديهم سواء في السلم أو في الحرب .

وساعد على ازدهار السفارات ودخول العرب في علاقات ودية وروابط عهدية مع جيرانهم ، وأقامتهم أنظمة وتقاليد راسخة في علاقاتهم ومعاملاتهم الخارجية - ساعد على ذلك الموقع الاستراتيجي لشبه الجزيرة العربية والنشأة من متاخمتها مراكز الحضارات القديمة في العالم ، وهي الحضارة الآشورية في العراق ، والحضارة الفينيقية في الشام ، والحضارة الفارسية في بلاد فارس ، وقرب الجزيرة من الحضارة الفرعونية في مصر . وكانت أكثر الدول صلة بالعرب دولتا فارس والروم : وهما أكبر قوتين سياسيتين في العالم في ذلك الحين . ومن ثم توالى السفارات السياسية بين حكام هاتين الدولتين وبين القبائل العربية المقيمة على الحدود لمعدد المحالفات والاتفاقات المختلفة .

وكما كانت وحدة اللغة باعثاً على توثيق صلات العرب ببعضهم قبل الإسلام ، فإن مركزهم التجاري الممتاز بين الممالك والبلاد الأخرى في الشرق والغرب والشمال كان باعثاً على الاتصال وقيام العلاقات الودية إذ كانت شبه الجزيرة العربية معبراً وملقياً للقوافل التجارية التي كانت تتخذ عدة طرق يبرز بينها طريقان أساسيان : أولهما الطريق الشرقي وهو يتأخم الخليج العربي ، ويتأخم بجلة ، ويتجهم بادية الشام إلى فلسطين ، والثاني الطريق الغربي ويتأخم البحر الأحمر . وعن هذين الطريقين كانت تنقل مصنوعات

الغرب الى الشرق ، ومتاجر الشرق الى الغرب . وقد اقتضت هذه التجارة الدخول في محادثات لعقد الاتفاقات بين تلك الجماعات البشرية بعضها وبعض ، واتاح موقع الجزيرة مكانة تجارية ممتازة لسكانها وروابط حميدة في العالم المعروف اذ ذاك . وتفصل كتب التاريخ باخبار رسلهم الى الملوك ووفادائهم ومفاوضاتهم ، بل لقد قدمت اليهم بعثات من البلاد الاخرى تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم .

والى جانب العلاقات التجارية الخارجية بين العرب وبين البلاد المجاورة ، كانت ثمة علاقات مماثلة بين القوى السياسية داخل الجزيرة العربية . فكان هناك شريان تجارى يصل بين اليمن جنوبا ومكة شمالا . وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هذه الحركة التجارية النشطة بين مكة والشام شمالا وبينها وبين اليمن جنوبا ، فلك بالاشارة الى رحلة الشتاء والصيف . ومن الطبيعي ان هذه الحركة كانت تتطلب اتصالات واتفاقات دبلوماسية بين القبائل بعضها وبعض ، وبين الممالك والبلاد الاخرى في سبيل توطيد العلاقات التجارية .

وبما سر هذه الاتصالات ودعها على مختلف انواعها ان بلاد الشام شمالا والجزيرة العربية جنوبا كانتا تضماني اعظم المقدسات الدينية ، ثمة بيت المقدس في مدينة القدس ، والكمبة بيت الله الحرام في مكة . فكانت القوى السياسية داخل الجزيرة وخارجها تنتهز حلول مواسم الزيارة والحج لعقد اللقاءات وابرام الاتفاقات والمصالحات والتحالفات ، الامر الذي نهجه النبي عليه الصلاة والسلام بعد بعثته اذ كان يخرج في مواسم الحج لدعوة القبائل الى دين الله .

وعرف من سفارات الجاهلية سفارة ابيد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابرهة ملك الحبشة وهو في طريقه الى مكة ، لمفاوضا اياه على رد الابل التي استولت عليها طلائع جيوش الحبشة .

ووجد منقوشا على سد مارب ما يفيد قدوم سفارات التهئة على ابرهة من شتى الامصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية ، اثر انتصاره على الصيريين وتأسيسه اول دولة مسيحية باليمن ، وذلك ما يلي :

« وجاءت اليهم سفارة النجاشي ، وسفارة الروم ، وسفارة ملك فارس ، ومعموث المنذر ، ومعموث من قبل الحارث بن جبلة ، ومعموث ابي خير بن جبلة ، جميعهم طلبوا مودتنا بقوة من لدن الرحمن » .

ومن المعروف ان آخر سفراء قريش في الجاهلية كان عمر بن الخطاب قبل ان يسلم .

بيد ان سفارات العرب في الجاهلية ظلت قاصرة على هذه الحدود ، فلم تستوعب في ميدان العلاقات الدولية — ما هو امسح واهم من مجرد العلاقات التجارية المرتبطة بطرونها .

المبحث الثاني :

الدبلوماسية في الدولة الإسلامية

أولا : في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين :

فلما جاء الإسلام في القرن السابع للميلاد طرأ تغيير جذري في ميدان السفارات شأنها في ذلك شأن مسائل الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية . فاصبحت منهاجا ذا قواعد ونظم محددة تترسبها الدولة في تسيير علاقاتها بغيرها من الدول عبر العصور المختلفة .

ومن ثم نشأ نظام السفارات الإسلامية وتطورت اغراضها ونظمها واساليبها تبعا لنشأة الدعوة الإسلامية . وتطورها . فلقد اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ النبي من السفارات وسيلة لنشر دعوته وسبيلا الى تأليف القلوب ودمجها في علاقاته العامة في الجزيرة العربية ومع الأمم والشعوب الأخرى .

فكان الرسول هو المعلم الأول للسفراء المسلمين ، وهو مؤسس نظم السفارات وواضع أصولها الثابتة وقواعدها المحددة ومنهاجها التوجيه الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل تثبيت بناء الدولة الإسلامية والدفاع عن مقيدتها وكيانها .

ولا غرو فالإسلام دين ودولة ، وهو شريعة النور التي انزلت للبشر كافة . ومحمد عليه السلام هو مبعوث السماء الى العالمين ؛ أرسله الله مبشرا ونذيرا مصداقا لقوله تعالى في كتابه العزيز :

« يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

فالنبي الكريم مرسل من عند الله ، فهو سفير العناية الإلهية وحامل رسائلها الى الناس جميعا . ويقول الله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وهذا التعارف الذي تدعو اليه الآية الكريمة انما يتم بالاتصال بين الناس ، أو هو بمعنى آخر يتم من طريق السفارات بين فرد وجماعة أو بين الجماعات بعضها وبعض أو بين دولة وأخرى .

ولقد خاض الرسول صلى الله عليه وسلم حروبا كثيرة ضد اعداء الإسلام ، ولكنه لم يقدم على حرب منها الا بعد أن استنفذ الوسائل الودية وفي مقدمتها السفارات . ومن ثم كانت الحرب في الشريعة مشروطة بقصد حماية الدعوة والدفاع عن النفس . فان حض الإسلام على الجهاد فقد دعا كذلك الى نشر العقيدة بالطرق السلمية . قال تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » .
« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنأ والهكم واحد ونحن له مسلمون » .
« يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » .
« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن لماذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .
« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فالجهد أو الحرب الدائمة لم تكن بمثابة العلاقة الطبيعية أو الوحيدة القائمة بين المسلمين وغيرهم . ففى غير أوقات الجهاد كانت تقوم علاقات ودية بالوسائل الدبلوماسية بين الدولة الإسلامية وبين الأمم والشعوب المحيطة بها .
« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .
« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » .
والرسول — صلى الله عليه وسلم — يتخذ الحكمة وهى أولى مقومات السفير أسلوبا لتبليغ رسالته ويجعل منها مناهجا لمعاملته مع الناس جميعا . ويتجلى ذلك فيها سطر من كتب وما أوفد من بعوث الى القبائل العربية والى ملوك الدول المخاضة للجزيرة ورؤسائها ، وفيما نظمه من مؤتمرات واجتماعات ، وما عقده من معاهدات للمصالحة أو الهدنة وهداء الأسرى أو تبادل المعونة وتحقيق المصالح المشتركة فى غير ذلك من الأغراض .

ومن ذلك يتبين ان السفارات العربية فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم تغاير — مضمونا وأهدافا — السفارات التى أوفدها العرب قبل الإسلام . إذ كانت سفارات العرب فى جاهليتهم — كما تقدم — تنقسم بالبساطة التى تتناسب مع ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية وتستهدف أساسا انشاء الروابط التجارية بين القبائل العربية بعضها وبعضها من جانب وبين الدول المجاورة من جانب آخر . أما السفارات الإسلامية على عهد رسول الله فكان الغرض الأول الذى تستهدفه هو الدعوة الى الإسلام ونشر رسالته .

وهكذا تطورت نظم السفارات — فى ظل الإسلام — لتتنسج بهذه الحاجة الجديدة ودخلت فى مرحلة أكثر تقدما فى أسلوبها ومحتواها ونعنى بها السفارات الإسلامية فى نشأتها الأولى . وتختلف حلقات هذه المرحلة بحسب ظروف الدعوة وأغراضها وتطورها المرتقب فى المستقبل . فقد كانت العلاقات الخارجية التى أقامها الرسول قاصرة فى بداية الأمر على الحادثات الشخصية وإرسال الكتب وإيفاد البعثات الى القبائل العربية للتعريف بالدين والحث على الدخول فيه . ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة الى مختلف القبائل ، وكانت المؤتمرات التى عقدت فى الجزيرة العربية لشرح مبادئ الإسلام والافتتاح بها . وكانت المواقف التى عقدها رسول الله مع الأوس والخزرج .

وهكذا تعددت وسائل الاتصال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة من محادثات شخصية ومراسلات الى سفارات ومؤتمرات وعقد معاهدات حسبما كانت تتطلب الظروف . واستهدفت هذه الوسائل الدبلوماسية جميعها غاية واحدة هي الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولما كانت الهجرة الى المدينة واثرت الدعوة وتحققت للعرب — لأول مرة — وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة في المدينة برئاسة النبي صلى الله عليه وسلم ، أصبح انتاج أسلوب السفارات إحدى ضرورات جوهرية لدعم أركان الدولة الناشئة ، فامتسع نطاقها وتعددت وسائلها وأغراضها وتوطدت أركانها ودعائمها . فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم مقصورة على التبادل التجاري ، بل امتدت الى مختلف النواحي الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة الى الاتصال بالدول المجاورة في سبيل تنفيذ السياسة الخارجية الإسلامية عن طريق إيفاد السفارات وإرسال الكتب الى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها .

وظل نشر الدعوة وتوسيع نطاقها الهدف الأساسي للسفارات الإسلامية ، فاستخدمت جميع الأساليب لتحقيق هذه الغاية النبيلة . بيد أن الحروب التي خاضها المسلمون على عهد رسول الله بعد أن هاجر الى المدينة كان من شأنها توسيع أغراض السفارات ، فعقدت المعاهدات مع ممثلي الأمصار والمدن المفتوحة لتنظيم الهدنة أو السلم وما يقتضيه ذلك من وقف القتال وتبادل الأسرى . ذلك أن الدولة الإسلامية قد استغرقت معظم حياتها في عهده صلى الله عليه وسلم في الحروب الوقائية دفاعاً عن رسالة الحق . وقد غزا الرسول بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، وكانت بمعونه وسراياه نهائية وثلاثين ما بين بعث وسرية . فكان تبادل السفارات يكاد يقتصر على عقد الهدنة ودفع الجزية وما الى ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية ، وكان ذلك أمراً طبيعياً بالنظر الى أن من طبيعة الدولة في نشأتها أن تقضى معظم صنئ حكيمها في إرساء كيانها والدفاع عنه ضد القوى المعادية .

وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لمعهد النبي الكريم ، فالدولة الإسلامية منصرفة الى توطيد أركانها ومد سلطانها في أرجاء الأرض ، فهي تخرج من فتح الى فتح . ولا تزال مقاصد السفارات لديها تتركز في بث الدعوة الى الإسلام وإعلان الحرب دفاعاً عن حياه والتكبير له بمقد المعاهدات . وهكذا كان العمل الدبلوماسي وسيلة لتوطيد أركان الدولة بالأمان من الأسلوب الودي كبديل للحرب أو مساعد لها في تنفيذ الخطط السياسية ، الأمر الذي كان ينبع من طبيعة العقيدة الإسلامية .

ثانياً : في عصر الدولة الأموية :

ثم قامت دولة الأمويين التي اتخذت دمشق حاضرة للخلافة . ولم تخطف السفارات الدولية كثيراً في ذلك العهد من حيث طبيعتها وأغراضها عما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين ، إذ ظل هدفها الرئيسي هو تأييد الهنوجات

الإسلامية في سبيل نشر رسالة الإسلام والتكين له — دينا ودولة — بالانطلاق والمبادئ التي لم يكن قد وصل إليها بعد ، والجهد في سبيل حمايته . فلم يحدث من هذه الوجهة تطور كبير في مجال السفارات الدبلوماسية ، وإنما كان التطور قاصرا على التقدم الفني ممثلا في أسلوب تلك السفارات وطابعها وتنظيمها وسحب مبادئها . انعكاسا لقوة الدولة الأموية وبداية العصر العلمي والأخذ بأسباب الحضارة بعد الانفتاح على حضارات البلاد المفتوحة . وكان استمرار الحروب بين الدولة الإسلامية ودولة الروم لا يسمح بكثير من تبادل السفارات لعقد معاهدات الهدنة أو تنظيم فترات السلم ودفع الجزية .

ومن ثم لم يدخل الخلفاء الأمويون في علاقات وطيدة مع الروم ، ولم يسعوا بطبيعة الحال إلى عقد أواصر الصداقة والتعاون معهم إلا حينما كانت تضطربهم الظروف الداخلية إلى ذلك . لمكانت العلاقات السياسية الودية بين الدولتين قاصرة على الفترات التي تسرع فيها الأمويون بالرغبة في إقامة هذه العلاقات لاحتياجهم إلى الاستقرار أو إلى قدر من الهدوء الخارجي لمواجهة الثورات المعادية لهم في الداخل . وقد عبد خلفاء بني أمية إلى عقد معاهدات الصلح والسلم مع الدولة البيزنطية في أواخر القرن السابع الميلادي حتى يأمنوا الجبهة الخارجية ويتفرغوا للقضاء على الفتن التي نشبت في البلاد على أثر الانقسام والفرقة التي دبت في صفوف المسلمين فحولتهم إلى أمويين وعلويين وشيعية . أما في غير هذه الفترة — وهي قليلة نسبيا — فقد كانت المصارك الحربية مستمرة بين الجانبين .

وأزاء هذه الظروف السياسية والعسكرية ظلت السفارات السياسية الودية محدودة في العصر الأموي حتى في الفترات التي ساد فيها السلام بين الدولة الإسلامية ودولة الروم ، فقد كانت تلك الفترات — فضلا عن قلتها — لا تمثل سلاسا دائما يسمح بقيام تلك السفارات وإنما هي فترات سلام مسلح أو صلح مؤقت .

وثمة عامل آخر حال دون ازدهار التبادل الدبلوماسي في المجال السياسي والمجال الاقتصادي والمجال الثقافي وغير ذلك من مجالات السلام ، وهو أن النهضة في تلك الميادين لم تعد طور البداية خلال تلك الحقبة ، إذ كانت الفتن التي أشرنا إليها والتي تمخضت عن الخلاف الذي نشأ في أواخر عهد عثمان واستمر في عهد علي رضي الله عنهما تستأثر معظم جهود الدولة التي بذلت في حصرها والقضاء عليها . والسفارات الدولية في المجال السلبي وليدة عاملين لا بد من توافرها :

الأول استقرار الدولة ورخاء المجتمع وما يسفران عنه من تقدم ونهضة في العلم والتجارة وغيرهما .

والثاني قيام العلاقات الودية في الميدان الدولي وما تؤدي إليه من تفاهم وتعاون في سبيل قضاء المصالح المشتركة وهي علاقات تتوقف إلى حد كبير على التوازن الدولي . ولا ريب أن السلم هو البيئة الصالحة لتدعيم الروابط الدولية من طريق تبادل السفارات .

ثالثا : في عصر الدولة العباسية :

ولما انتهى العصر الأموي وأعقبه عصر بني العباس ، تطورت السفارات الإسلامية تطورا على جانب كبير من الأهمية ، ويرجع ذلك الى اشتداد ساعد الدولة الإسلامية حتى أصبحت في طليعة القوى السياسية والدولية بل غدت إحدى القوتين السياسيتين الكبيرين في العالم : قوة المسلمين ، وقوة البيزنطيين . وقد امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقا الى المحيط الأطلسي غربا ، فضلا عن اتساع أرجائها شمالا وجنوبا . فكان لذلك اثره البالغ في السفارات المتبادلة بين دولة العباسيين وامبراطورية الروم المسيحية - الإمبراطورية البيزنطية - التي كانت تسيطر ظلها على آسيا الصغرى وبلاد البلقان وإيطاليا . لمزادت تلك السفارات باتساع نطاق العلاقات الدولية بين الجانبين وتعددت ، أغراضها ووظائفها بحيث أصبح تبادل السفراء أو الممثلين السياسيين وسيلة لتوثيق العلاقات التجارية وتبادل الأسرى ، أو تبادل المعطيات ، وفرض المنازعات وعقد المعاهدات ، وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية ، كما استحدثت فرض آخر للسفارات وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول لما يحدثه ذلك من إقرار علاقات المودة والسلام بينها دعم الحركة الثقافية في البلاد .

ومن هذا يتبين أن الحرب لم تكن هي العلاقة الوحيدة بين العباسيين والبيزنطيين بل نشأت بينهما في كثير من الأوقات علاقات مودة وسلام وفقا لمصالحهما التجارية ولتقتضيات التوازن الدولي .

ويرجع ذلك الى أن سياسة الفتوح في عصر العباسيين لم تستمر كما كانت عليه الحال في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين . فلم ترد رقعة الدولة الإسلامية بل بدأت الحركات الانفصالية تعتمدها في أواخر هذا العهد ، فكانت في حاجة الى الحفاظ على سلامة أرجائها أكثر منها الى الاستمرار في الفتح . ومن ثم كان أكثر حروب العباسيين ضد البيزنطيين وغيرهم دفاعا عن دولتهم في المقام الأول . وكانت تلك الحروب هي الجانب السلبي للعلاقات السياسية أما في الجانب الآخر فقد اهتم العباسيون أكثر من الأمويين بتوسيع دائرة علاقاتهم الخارجية السلمية . فسارت السفارات بينهم وبين القسطنطينية وروما ومملكة البلقان ودولة الفرنجة والهند والصين . وعقدت بيزنطة مع بغداد معاهدات الصلح وتبادل الأسرى في عهد هارون الرشيد والمأمون والمعتصم ، وتبادلت معها السفارات في مختلف الأغراض . وكان دعم الروابط العلمية والثقافية من أهم ما استهدفته السفارات الإسلامية من أجل توثيق علاقاتها مع جاراتها مما يشبه المهمة التي يقوم بها المستشارون الثقافيون في سفارات الدول الحديثة اليوم .

وهكذا اقترن عصر استقرار الدولة الإسلامية وازدهارها واتساع نفوذها وترامي أطرافها بازدهار السفارات الثقافية بينها وبين الدولة البيزنطية . فقبال الجانبان الكتب أو الرسائل التي كانت تصاغ في أساليب ودية ثم دخلا في مفاوضات أسفرت عن معاهدات لإقرار التبادل الثقافي ، وكانت تلك المعاهدات تنص على دراسة الكتب النادرة التي تتوافر لدى

الجانبين أو في مكتبتهما العامة ، وتبادل البعثات العلمية ، وتيسير مهام الطلاب الباحثين في جامعات المسلمين والبيزنطيين وفي عواصمهم .

رابعا : في عصر الأمويين بالاندلس :

وفي عهد الأمويين بالاندلس — حيث أسس عبد الرحمن الداخل أحد أبناء البيت الأموي الذي تداعى أمام قوة العباسيين إمارة مستقلة سنة ٧٥١ م — خضعت السفارات الإسلامية أشواطاً بعيدة في مجال التطور والتقدم . ذلك أنه كانت ثمة أربع قوى سياسية كبرى: الدولة العباسية في المشرق وعاصمتها بغداد ، ودولة الروم في القسطنطينية ، والدولة الأموية في الأندلس وعاصمتها قرطبة ، ودولة الفرنجة في بلاد الغال (فرنسا) وقد قامت في زمن معاصر لقيام دولة الأمويين بالاندلس واتخذت (اكس لا شابل) عاصمة لها ، وحاول إمبراطورها شارلمان أن يعيد مجد روما القديم وينافس الدولة الرومانية الشرقية التي تأسست في بيزنطة وتزعمت العالم المسيحي . وأصبحت دولة الفرنجة في عصر هذا الإمبراطور أعظم قوة في أوروبا الغربية ، واستطاعت بتحالفها مع البابوية في روما أن تحد من نفوذ الدولة البيزنطية ، وتطلعت إلى مد سلطانها إلى شرق أوروبا وبسط حمايتها على المسيحيين هناك .

وفي ظل هذه الظروف لعبت سياسة توازن القوى دورها في العلاقات السياسية بين هذه الدول الأربع المتنافسة ، إذ كان ثمة تنافس بين العباسيين والروم الشرقيين ، ثم جد تنافس آخر بين بني العباس في المشرق وبني أمية في المغرب من جانب ، وبين البيزنطيين في شرقي أوروبا والفرنجة في غربها من جانب آخر .

وقد أحدث التغيير الذي طرأ على التوازن الدولي في تلك الحقبة أثره في العلاقات القائمة بين تلك القوى السياسية المتنازعة ، ونشأ عن ذلك تطور كبير في السفارات . فلم تعد الحرب هي السبيل الوحيدة لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة وحل مشكلاتها وتحقيق أهدافها في التوسع والسلطان ، وأصبح حد السيف لا يكفي — إزاء تلك القوى الدولية الكبيرة — لنقض المنازعات بينها . فلم يكن بد من استخدام الدبلوماسية كأحدى الأصول التي يتعلمها رجال الدولة وينتهجون على أساسها في إقرار علاقاتهم مع الأمم الأخرى . وأصبحت الدبلوماسية نظاماً مدروساً تفسر عليه الدولة في علاقاتها الخارجية .

لقد كانت حاجة الروم إلى العرب ماسة ومستمرة ، وكانوا ضعفاء أمامهم منذ وحدة العرب أيام الخلافة الإسلامية . فلا غرو أن تغدو هذه الحاجة أشد بعد الانشقاق الذي دب في صفوف المسيحيين وقيام دولة الفرنجة ومنافستها للإمبراطورية البيزنطية ، هذا فضلاً عن ظهور الأمم اللاتينية المستقلة على حدود الرومان ، وأن يؤدي هذا إلى أن تلجأ تلك الإمبراطورية إلى التساهم مع جيرانها العرب ، وأن تسعى إلى محالفتهم لمقاومة أعدائها وتأمين جبهتها الداخلية كما يتجلى ذلك في مفاوضاتها مع هارون الرشيد والمأمون والمعتصم . وقد انعكس هذا التطور الدبلوماسي على السفارات بمختلف أغراضها ولا سيما الثقافية منها فتواتر سير السفارات الإسلامية من بغداد إلى عاصمة الرومان .

ولما نافست دولة عبد الرحمن الداخل في الأندلس سسلطان الخلفاء العباسيين في بغداد ، اتجهت الخلافة العباسية الى دولة الفرنجة القائمة على حدود الأندلس تنشد محالفتها ضد الأمويين ، واستعانت في سبيل دعم أواصر المودة والصداقة بينها بالتبادل الدبلوماسي ، فسيرت السفارات فيما بين بغداد وعاصمة الفرنجة . وقد تعددت الوفود بين الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور وبين سيد الفرنجة ، وبين هارون الرشيد وشارلمان .

ولم تحقق الدولة البيزنطية مأربها في محالفة العباسيين ضد الفرنجة اذ كان هؤلاء — كما أسلفنا — يسمعون للتحالف مع دولة الفرنجة ضد بني أمية في الأندلس . وقد حاول شارلمان مهلجة دولة الأمويين ولكنه لم ينجح ، فكان من الطبيعي أن يقيم البيزنطيون علاقات دبلوماسية مع دولة الأندلس ، وبلغت تلك العلاقات أوجها في عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع والخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر . وسارت السفارات بين القسطنطينية وقرطبة مثلما سارت بينها وبين بغداد . وكان للسفراء المسلمين في القسطنطينية مكان الصدارة بين الممثلين الدبلوماسيين ، ولسفراء العباسيين الأسبقية في الترتيب على سفراء الأمويين .

وقد أدى التوازن الدولي — كما تقدم — الى قيام السفارات الإسلامية من قرطبة الى العواصم الأوروبية بقصد توثيق الروابط السياسية والعلمية والاجتماعية بين الدولة الأموية في الأندلس ودولتي المسيحية في القسطنطينية واكس لا شابل ، ثم بينها وبين جماعة النورمان في الجزر البريطانية التي بدأت تظهر كقوة سياسية جديدة في ذلك الحين .

وقد بلغ التبادل الثقافي ذروته في ذلك العهد بفضل النهضة العلمية التي ازدهرت في العواصم الإسلامية والمسيحية ، فقد كانت بغداد وقرطبة والقسطنطينية مراكز أشماع للعلوم والفنون والآداب ، تنافس كل منها الأخرى في التزود بالعلم والثقافة ، والبحث عن كل جديد ومبتكر من المعارف والابتكار ، وتشجيع العلماء والطلاب على البحث والدراسة ، ولقد لمت تلك السفارات دورا هاما في اقرار السلام بين تلك القوى الكبيرة التي كانت تحتل مسرح السياسة الدولية حينئذ .

وموجز القول في تاريخ السفارات في الإسلام أن العرب لما تحضروا في ظل شريعة التوحيد والحق والحرية واخذوا بأسباب الخفية بعد رسوخ قدمهم في مملكتهم الواسعة الأطراف وكثرت علاقاتهم بالدول والممالك المعاصرة لهم ازدهرت السفارات في عهدهم ، فكانوا يرسلون ممثلهم — وعلى الاخص في عهد العباسيين الأول والثاني — الى الملوك والأمراء ، ليس في احوال الصلح فقط ، بل كذلك في المفاوضات السياسية والودية وحوادث المصاهرة . ولم تقتصر السفارات على الخلفاء والأمراء المسلمين بعضهم وبعض بل شملت علاقاتهم التجارية والسياسية والثقافية مع رؤساء الدول الأجنبية . فجرت السفارات الإسلامية بين العباسيين وملوك الشرق في الهند والصين ، كما جرت بين ملوك أوربا وملوك الإسلام في الشرق والأندلس . والتاريخ حافل بأخبار السفارات التي كانت لا تنقطع بين الخلفاء المسلمين في الأندلس وبين ملوك الفرنج .

حَدِيثُ عَنْ رَمَضَانَ

طرح شهوات الجسد لتحقيق لصحة الصوم
تجنب المفاز الخلقية لتحقيق لكمال الصوم

خير ما نستقبل به رمضان أن نستفتح الحديث عنه
بالتناء على ربنا تعالى وعز بها هو أهله . ثناء العاجزين عن
حصر نعمائه ، المحتاجين الى جميل معونته . فان عبدا من
عباده لا يحمي ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه ، وننتهز
فرصة هذا الشهر موسم خير ورحمة لنضرع الى الله عز
وجل أن يميده على امتنا الاسلامية بالامن والطمانينة
والسلام ، كما نضرع اليه أن يسبغ من ظلال عهده على ملوك
امتنا ورؤسائها وأمرائها ما يزيدهم فقها بأيجاد أسلافهم
وغيره على ثراث أمتهم التي خرجت به الانسانية كلها من
الباطل الى الحق ومن الضلال الى الهدى ومن الظلمات الى
النور .

ثم ان الصيام يقتضينا حقه من البيان لمى مجالين ،
مجال اللمة ومجال الشريعة .

فقد كان العرب أهل جاهلية قبل البعثة المحمدية

يعرفون للصيام معاني تداولوها في شمسهم ونثرهم ،
ورواها الاخلاف عن الاسلاف .

ومن تلك المعاني الامساك عن الحركة في الانسان
والحيوان والجماد ، كل ذلك في عرف اللغة صيام ، فهم
يقولون صامت الريح : يعنون انها ركبت فلم تتحرك .
ويقولون صامت الشمس : يعنون انها قامت فلم تبرح مكانها
عند انتصاف النهار ، ويصفون البكرة بالصيام اذا هي
استعصت على الدوران فلم تخرج الدلو من البئر . وفي هذا
يقول راجزهم :

نرا الدلاء الولفة الملازمة والبكرات شرهن الصائمة
يعنى الشاعر أن الدلو الضيقة التي لا تتأرق صاحبها
هي شر الدلاء وان البكرة المستعصية على الدوران هي شر
البكرات .

والعرب تطلق على الموضع الذي تظهر فيه نجوم
الثرى كأنها معلقة في الفضاء لا تبرح مكانها كلمة صام وفي
هذا يقول ابرئ القيس :

كان الثريا علقت في مصابها بأهراس كتان الى صم جندل
فهو في هذا البيت يصف طول الليل ضائقا به فيتخيل
أن مجموعة النجوم المعروفة بالثرى واقفة في مكانها لا تتحرك
فكانها مشدودة الى صخور صم بحبال من السكتان متينة
القتل .

ذلك اجمال لمعنى الصوم في اللغة .

وقد ورد في كتاب الله الكريم الصوم بمعناه اللغوي
وليس بحقيقته الشرعية على ما تشير الى ذلك الآية الكريمة
« انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا » فالصوم
في هذه الآية يعنى الصمت والامساك عن حركة الكلام .

وليس بخاف أن بين المعنيين اللغوي والشرعي صلة
وثيقة ، من حيث كانت اللغة تعطى أن الصوم امساك عن
الحركة ايا كانت هذه الحركة في انسان أو حيوان أو جماد ،
وكان الاصطلاح الشرعي يعطى أن الصيام نية في القلب
وامساك عن حركة الطعام والمشرب .

واذا كانت حقيقة الصيام لا تتم شرعا الا بالامساك عن الشهوات ، فان تمام الصيام وكماله لا يتأتى الا باجتناب المحظورات من الدس والكذب والنميمة والتجسس والخوض في أعراض الناس . كما يقول النبي عليه السلام « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

وقد حرص أسلافنا الصالحون على رعاية حرمة هذا الشهر فكانوا يستقبلونه بأجل معاني التكريم ، ويقضون حقه عليهم من جهتيه جيما . فيطرحون شهواتهم الجسدانية ارادة تحصيل صحة الصوم ، ويجتنبون المغاير الخلقية ارادة تحصيل كمال الصوم . واتما دعاهم الى هذا الحرص ما كانوا يعرفونه من فضل الصوم وجميل ثوابه ، فقد وردت في ذلك اخبار كثيرة صحاح وحسان ، حسب المؤمن منها في فضل هذا الشهر العظيم ان الله تعالى قد خصه دون سائر الفرائض بالاضافة الى ذاته جل ثناؤه على ما في الحديث القدسي « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فهو لي وأنا اجزي به » ..

ومع ان العبادات كلها لله خضوعا لأمره ، واستدامة لنعمه ، فان اختصاص الصيام بالاضافة الى الله في هذا الحديث ، انما كان لأمرين يستأثر الصيام بهما دون سائر ما اغترض الله على عباده ، واحد الأمرين أن الصيام يمنع الصائم من اللذات والشهوات . وهذه خصيصة له دون سائر العبادات ، وثاني الأمرين أن الصيام سر بين العبد وبين ربه فاذا كانت العبادات ظاهرة مكشوفة للناس يتمكن كل أحد من الاطلاع عليها . وقد يرأى بها ، فان الصيام محجوب لا يطلع عليه أحد سوى علام الغيوب .

وليس يسع الذين يدرسون كتاب الله ، وينظرون في أوامره ونواهيه ، أن يجاوزوا الصيام دون أن يتلمسوا له حكمة . فان معرفة الحكمة للحكم الشرعي من شأنها أن تضاعف الرغبة في الأخذ به والعمل بمقتضاه .

ومما هو مركوز في الفطرة أن توقع المنفعة في عمل من الأعمال ، يسارع بالمكلف الى تحصيل هذا العمل كما ان ادراك المصرة فيه يسارع به الى اجتنابه والتحرز منه والابتعاد عنه .

وأهل العلم يعرفون ان احكام الله تعالى مشتملة على

حكم تصلح أن تكون مقصودة للشارع من شرعه الحكم .
 لقد كان العرب أهل الجاهلية قبل البعثة المحمدية
 ولا شك أن المصوم ينطوى على حكم بالغة لعلنا
 لا نركب متن الشطط إذا قررنا لأنفسنا وللناس أن القرآن
 طواها على كثرتها في كلمتين اثنتين في آية الصيام « لعلمكم
 تتقون » .

وبين ذلك أن امتثال أوامر الله في تحرى مواع
 رضوانه ، هو من التكاليف التي تشق عادة على النفوس .
 وكل أمر يشق على النفس تحصيله ، لا بد له من إرادة قوية
 ومزية صادقة تكون معوانا للمكلف على تحمل المشاق في
 ابتغاء رضوان الله امتثالا لأمره ، واجتنابا لنهيهِ ، فالمسلم
 في ليلة باردة قارصة البرد ، لا يستطيع بغير الإرادة القوية
 أن يقوم إلى متوضئه وإلى صلاته . وهو نفسه في مجال
 الرغبات الجاهلة والشهوات المتحركة ، لا يستطيع بغير
 العزيمة الصادقة أن يتغلب على نزوات النفس ودوافع
 الهوى .

والصيام هو الرياضة النفسية الفارقة بالقدر على تكوين
 الإرادة القوية وتربية العزيمة الصادقة . وإذا استقام للمسلم
 أن يحصل الإرادة القوية والعزيمة الصادقة فقد استقام له
 أن يحكم نفسه فيرقب بها في مرضاة الله كما يرقب بها عن
 سخطه جل ثناؤه . وهذا عند التحقيق هو خلاصة التقوى إذ
 لا سبيل إلى التقوى إلا من هذا الطريق وهو ما أشارت إليه
 آية الصيام في كتاب الله العزيز .

تلك حكمة الصيام التي تعود ثمراتها على الفرد نفسه .
 وهي حكمة تتم الفنى والفقير ، والمأمور والأمير . وهي من
 أجل هذا أحق بالاعتبار من كل ما يذكر الناس للصيام من حكم
 على كثرة ما ذكر الناس له حكم . فهي عند بعضهم ترويض
 للأغنياء حتى يشعروا بحاجة الفقراء . وهي عند آخرين تكثير
 عن الخطايا بعقاب الأجساد وتمريضها لمعاناة ما تعانيه في
 الصيام من الظأ والجوع . وهي عند فريق ثالث تطهير
 للجسم ، وتنزيه للإنسان عن حاجاته الحيوانية .

ولا ينبغي أن نفوتنا في هذا المقام حكمة لا يضيق بها
 الاعتبار ، ولا تتراءى للناظر خارجة عن آفاق الحكم المقبولة .

وخلاصة هذه الحكمة أن المسلمين هذا الشهر في كل
 آفاق الدنيا وأحاء العالم يتحولون إلى أسرة واحدة ، يتناولون
 طعامهم في وقت واحد ، ويؤدون شعائر دينهم في وقت واحد

ومن يشذ منهم عن هذا النظام يشعر بالخربة في نفسه كما يشعر مواطنوه بالخربة عنهم .

ولقد أذكر أن أمما في الأرض تزهى على الناس بأن لها عادات وتقاليد يجتمع عليها كبارهم وصغارهم وأغنياءهم وفقراءهم في ساعات معينة من ليل أو نهار . كالامة البريطانية مثلا فان أبناءها يفخرون بأنهم يجتمعون في منتصف الحادية عشرة من صباح كل يوم على تناول القهوة وفي منتصف الواحدة ظهرا على تناول الغذاء وفي منتصف السادسة مساء على تناول الشاي والحلوى . وعلى قدر ما يفخر أبناء الأمة البريطانية بهذه العادات ، يعجب بها غير البريطانيين ويعتبرون ذلك فضيلة لها تستحق التقدير والاعتبار .

وأكثر الذين يذهبون هذا المذهب يعرغون أن أفراد الأمة الإسلامية يجتمعون في كل مكان على تناول طعام الامطار في شهر رمضان بعد غروب الشمس ، وتناول سحورهم في وقت محدد أيضا . ويمتنعون عن شهواتهم امتناعا كاملا في غير هذين الوقتين من طلوع الفجر الى غروب الشمس . فلا مطعم لطعام ، ولا مشرب لشارب .

ومع ذلك ترى الذين يقفون من الأمة البريطانية موقف الإعجاب ، لا يكادون ينتبهون لهذه المعاني الجليلة نفسها في الأمة الإسلامية وقد جمع الاسلام عليها المسلمين منذ أربعة عشر قرنا خلت من الزمان . وهذا مع تفرق هذه الأمة وتباعد ديارها ، واختلاف آفاقها ، وذلك أمر كان من شأنه أن يدعو الى أعظم العجب وأكرم الاعتبار أبناء امتنا واصدقاءها وخصومها على سواء ، ولكن الذهول العجيب هو الذي يحول بين أهل العلم وأهل العقل وبين التماس الحكم الخالية في كل ما شرعه الله من خير للمسلمين على أن شهر الصيام في العالم الاسلامي قد أصبحت له الى جانب هذه المزايا مزايا آخر لا تقتصر على الكبار الصائمين ولكنها تنتظم الصغار أيضا فهو موسم فرحة للأطفال وتزاور بين الناس وإقبال على الله بحسن العبادة ومدارسة العلم .

فرمضان شهر مبارك الثمرات ، ميمون الغدوات والروحانيات على الأفراد والجماعات في كل ما يتصل بشئون الدنيا وشئون الدين .

الشورى

فِي الْإِسْلَام

تسريعاً... وتطبيقاتاً

للأستاذ: عبد الكريم الخطيب

كم يلقى الباحث من مشقة ، وكم يجد من حرج ، حين يعرض لقضية من القضايا التي تكاد تكون في ضمير التاريخ من المسلمات التي لا يختلف عليها عدو أو صديق ، ثم هو لا يجد بين يديه من واقع الحياة في عصره ما يقيم منه الشاهد الذي على معطيات هذه القضية ، وعلى مالها من أثر في أهلها الذين ينتسبون لها ، ويضافون إليها . . ان الباحث هنا لا يعمد ان يكون صدى موحشا مستجلبا من غوار الزمن السحيق ، غمها يقرأ على الناس من صفح التاريخ ، وغمها يقص عليهم من انباء قضيته ، وما حلت في وقت ما من ثمرات طيبة مباركة !! انه اذا قال - ان التاريخ يقول كذا وكذا ، جبهه لسان الحال ، وانحمة وابك به من ان يمضي فيها هو فيه ، فان هو أبى ان يزيل موقفه ، أو ان يتحول عن طريقه ، لم يجد العزم الذي كان معه ، ولا اليقين الذي استقر في وعيه ، سكن في ضميره ، لم يمشي ان مضى - مستخفيا ، ويدافع ان دافع واهنا فائتزا . .

مقتضى الإسلام ، ومقرراته في بناء الاخلاق القويمة ، وفي اقامة موازين العدل والاحساس بين الناس بما شرعه هذا الدين من التواصي بالحق ،

والصبر والرحمة وال إخاء ، والتكافل ، ونصرة المظلوم ، وال اخذ على يد الظالم ، والجهاد في سبيل الله ، والسعى في طلب الرزق ، واقتان العمل .. وغير ذلك مما ينتظمه دستور الشريعة الإسلامية من احكام وآداب ، بها يستأهل الانسان ان يكون خليفة الله في الارض وصاحب اليد البسطة على كل شيء فيها . هذه القضايا وتلك المقررات يعيش فيها المسلمون اليوم كليات محفوظة مرددة على الالسنه ، دون ان ترتبط بمشاعرهم ، او تخالط وجدانهم او تظهر في سلوكهم انها اشبه بتلك المخلوقات الثيانية من آثار العصور الماضية التي تحويها المتاحف وتضسمها دور الآثار لا يتعامل بها الناس في حياتهم ولا يأخذون بها او يعطون وان وقفوا حيالها معجبين ، ونظروا اليها في اجلال واكبار وتقديس !!

هكذا نحن المسلمين ، فيها بيتنا وبين احكام ديننا وآدابه ، قد رضينا من ديننا بما نشهد من بقاءه المحكم المعجز ، وشغلنا بالطواف حول هذا الأثر الخالد عن التزود منه بالزاد الذي نصحبه معنا في رحلة الحياة . وكل حظنا من هذا الخير العظيم ، تلك اللحظات المسعدة التي نقف فيها بين يديه فاذا زایلناه انقطع ما بيننا وبينه ، واخذنا طريقنا في الحياة على غير الطريق القائمة عليه ، لا نكاد نذكر من ديننا الا أنه رسوم نقف عليها ، وآثار نلم بها ، ونملا العين بها ، كلها شائقنا الحنين الى هذا الغالى العزيز الذى اودعناه بطون الصحف والكتب ، كما يودع الآباء لمذات اكبادهم بطن الثرى ، ثم يلتبسون العزاء في الوقوف على القبور ، ومناجاة من في القبور .

- ٢ -

ارابت اذن كم هو شاق غاية المشقة ، عسر اشد العسر ان يواجه الباحث المسلم تحديات العصر ، وواقع الحياة فيه ، بحقائق الشريعة الإسلامية ، وعرضها لتكون اسلوب حياة ، وسلوك مجتبع ، ونظام أمة ؟ واذا وجد هذا الباحث عند الذين يدينون بشريعة الاسلام اذنا تسع او عقلا يصق ، او قلبا يستجيب — فهل يجد عند غير الذين لا يدينون بشريعة هذا الدين ، من يستمع لقوله ، او يستجيب لدعوته ؟ وكيف ولسان الحال يقول — لو كان هذا حقا لأخذ به اهله ، ولو كان خيرا لانادوا منه ، ولكن مقامهم في الحياة غير هذا المقام ، الذى لا يحسداه عليه عدو او صديق ؟

واشهد اننى ما هبت بعرض وجه من وجوه شريعتنا المشرقة ، او حقيقة من حقائق ديننا القويم الا وقفت موقف الحيرة والتردد ، والا انتهى أمرى آخر الأمر في كثير من الأحيان الى التحول عن هذا الموقف الى أى شأن من شئوئى الخاصة او العامة ، مما استطيع ان اعطيه صورة عملية واقعة في الحياة ، مهما صغر قدره ، وقل غناؤه ، فذلك على ما به هو — في تقديري — أجدى من الوقوف على منبر الخطبة ، وترديد الإحاديث المأداة التي كانت لكثرة ترديدها على الأذان ان تكون اشبه بتلك الأصوات التي تنطلق من أنواء الباعة الجوالين يعرضون بها ما معهم من سلع باثرة ، قد لفظتها السوق ، ولم تجد لها في ساحتها طالبا أو شاريا !!

ان حقائق الشريعة الإسلامية أظهر من ان يدل عليها عند أهلها ، وعند كثير من غير أهلها ، والإلحاح في عرضها ، والمناداة عليها ، مما يجرى بقدرها ، ويسمى الظن بها ... ومع هذا فان التزام الصمت ، واخذ جانب

المسكوت ، هو سكوت من الحق الذي خُفله أهله ، في موقف علا فيه صوت الباطل ، وراجت فيه دعاوى الضلال والبهتان ، والسكوت عن الحق في هذا المقام شيطان أخرس ، كما يقول الرسول الكريم

فإذا كان للمسكوت أسبابه ودواعيه ، فإن للتلق أيضا أسبابه ودواعيه ، أن لم يكن حديثا إلى الناس فهو حديث إلى النفس ، أشبه بالزغرات التي ينفس بها المكروب كريقته :

ولواله المكروب من زغرات سكوت عزاء أو سكوت لغوب

— ٣ —

هذه مقدمة لم يكن بد منها ، وإن تكن قد طاللت أكثر مما كنت أعتد لها .. ولكن لأبأس ، فإني ما كنت لأستطيع أن أكتب في هذا الموضوع الذي جعلته عنوانا لهذا الحديث ، لولم ألق مع نفسي هذه الوقفة المستأنية ، وأحاورها هذا الحوار الصريح ، الذي تلتقي فيه على كلمة سواء آخر الأمر ، وهو أن أمضي فيما قصدت إليه ، فهو أن لم ينفع فلن يضر ، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم : « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر » ..

فلنأخذ إذن في حديثنا عن « الشورى في الإسلام » كبادرة أولى من مواد هذا الدستور السماوي الذي يحكم الجماعة الإسلامية ، ويدين به الفرد والجماعة على السواء ...

— ٤ —

فالشورى شريعة من شرائع الرسالة الإسلامية ، ومصدر من مصادر أحكامها العاملة في المسلمين ، حيث ينمقد بها الإجماع الذي هو أصل من أصول التشريع الأربعة المعتمدة في الإسلام ، وهي الكتاب والسنة ، والقياس ، والإجماع .. إذ لا يكون الإجماع على أمر إلا بعد تحصيله ، وتقليب وجوه الرأي فيه ، وتقديم الحجج والأدلة بين يدي كل رأي ، حتى ينتهي الأمر الذي يجمع عليه ، بالتقاء آراء ذوي الرأي فيه من المسلمين ، وهم الذين أطلق عليهم : أهل الحل والعقد .

وليس المراد بأهل الحل والعقد طبقة خاصة من الناس ، أو طائفة معينة من طوائفهم ، بل هم في كيان المجتمع الإسلامي كله ، في كل زمان ومكان لا يختص بهم موطن ، ولا يحصرهم زمن .. فحيث كان المسلمون فهم جميعا المجتمع الإسلامي ، وفيهم أهل الحل والعقد ، أي أصحاب الرأي والنظر ، فكل ذي رأي ونظر هو من أهل الحل والعقد ، وله أن يأخذ مكانه في الأمر الذي يعرض للمسلمين ، وأن يدلي برأيه فيه ، ويتقدم حجته التي تدعّم هذا الرأي ، كما أن له أن ينظر في رأي غيره ، وأن يقول فيه رأيه ، معدلا أو مجرحا ، كل ذلك بالحجة القائمة على الحق والعدل ، المجانية للهوى ، والشهوة ، وحجب الغلب . والرأي الذي ينتهي إليه المسلمون ، أو أولو الحل والعقد فيهم ، هو ملزم.

لجماعتهم ، لا يجوز لأحد منهم مخالفته ، والخروج عليه عملا بقوله تعالى :
« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله
ما تولى ونصله جهنم وساعت مصيرا » .

وليس في هذا الإلزام جور على ذاتية الفرد ، ولا عدوان على حقه في
النظر إلى الأمور ، ووزنها بميزان ادراكه وتقديره ، بل أن هذا الإلزام هو حماية
لل فرد من أن يتبع هواه ، أو أن يذهب مذهبا غير مأمون العاقبة ، لو أنه أخذ
برأيه وترك رأى الجماعة ، إذ كان رأيه هو الذى تلاقت عنده الآراء ، ونخلته
المعتول ، وأنه لخير له أن يأخذ برأى الجماعة ، الذى لاشك أنه أقرب إلى
الحق ، وإلى الخير ، من الرأى الذى انفرد به .

وأذا كان الإجماع هو الوجه البارز من وجوه الشورى ، فإن للشورى
وجوها أخرى كثيرة .. إذ ليس كل أمر يعرض للجماعة الإسلامية ، تنتهى
بالتشاور فيه إلى إجماع فى الرأى على نحو الإجماع المعروف فى الشريعة ،
بل أنه كثيرا ما يقع الخلاف فى الرأى على أمر من الأمور ، ثم يرجع جانب فيه
على جانب ، فيؤخذ بالجانب الراجح ، ويترك الجانب المرجوح .

— • —

على أن الذى يعنىنا هنا ، ليس هو مصدر الشورى وأشكالها ، وإنما
الذى يعنىنا بالمقام الأول ، هو مبدأ الشورى ذاتها ، من حيث اعتبارها حقيقة
من حقائق الإسلام ، وحكما من أحكامه العادلة ، التى يأخذ المسلم بها نفسه ،
ويقيم حياته عليها ...

فى قوله تعالى فى مقام عرض المؤمنين فى صورتهم الكاملة المشرفة :
« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون » .. (٢٨ الشورى) — فى هذا أمر ملزم للمسلمين بالشورى فى
أمرهم ، حيث اقترن قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » بركنين من أركان
الدين ، وتوسطهما ، وهما أقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والمأمور بهما شرعا ،
فكان حكم الشورى حكمهما من حيث الوجوب ، والإلزام .. فقولته تعالى :
« وأمرهم شورى بينهم » — خبر يراد به الأمر والإلزام .

وفى مجيء الشورى بعد أقام الصلاة ، وقبل إيتاء الزكاة — إشارة إلى
أمر :

أولا : أن الصلاة اقوال وأفعال ، والشورى اقوال تعتبها أفعال ..
أما الزكاة فهى أفعال خالصة ... فناسب أن تأخذ الشورى هذا المكان المتوسط
بين الصلاة والزكاة .

وثانيا : أن الصلاة يؤديها المرء منفردا أو فى جماعة .. وهو فى حال
أفراده يؤديها على الصورة التى يراها ، من حيث الطول والقصر فى أفعالها ،
قراءة ، وقِياما ، وركوعا ، وسجودا .. أما فى حال أدائها فى جماعة ، فإنه
لا يملك هذا الخيار بعد أن يأخذ مكانه فى الجماعة ، وينتظم فى مقدمها ، فهو
والجماعة من وراء الإمام ، الذى يجب أن يلتزموا متابعتها فى كل أعمال
الصلاة . قِياما ، وركوعا ، وسجودا . والشورى صورة مقاربة للصلاة .
من هذا الوجه الذى صورناها به ..

فلذا كان المرء خالياً مع رأيه أراءً أمر من الأمور العارضة له ، كان له ان يتصرف في هذا الأمر على الوجه الذي يستشعر فيه عقله ، ويحكم فيه الى رأيه ، وما يؤديه اليه اجتهاده .. اما اذا دخل مع جماعة المسلمين في أمر عام ، واخذ برأيه مكانه بينهم ، لم يكن له ان يخرج عن الرأي الذي تنتهي اليه الجماعة ، والذي يمثل لهم حينئذ في صورة الإمام الذي يأتون به في الصلاة .. فكما لا يخرج المأموم من متابعة الإمام في الصلاة ، ولا يجوز له ان يستجيب لارادته في ان يطيل او يقصر في قراءة او في قيام ، او ركوع ، او سجود .. كذلك لا يجوز ان يخرج المؤمن عن الرأي اجمع عليه المسلمون ، بعد تشاورهم فيه ، اذ الرأي الذي اجمع عليه المسلمون هنا هو من رأي الاسلام ، والسبيل التي يسلكها — متابعة لهذا الرأي — هي سبيل المسلمين .. والله سبحانه وتعالى يقول : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصله جهنم وساعت مصيراً » (النساء : ١١٥) ..

وثالثاً : ان الصلاة فريضة عامة تجب على كل مسلم ومسلمة وجوب عين ، متى تحققت فيه اهلية التكليف .. وكذلك التشاور بين المسلمين امر ملزم لهم جميعاً وحق يؤديه كل مسلم ومسلمة للجماعة الإسلامية ، ما دام أهلاً له ، وانه ليس لأحد ان يحول بين المسلم وبين ان يأخذ مكانه في الجماعة الإسلامية ، وان يبدى الرأي الذي يراه في أي أمر يعرض لهم ، تماماً كما يأخذ مكانه في صلاة الجماعة بين ، الصفوف المنتظمة في الصلاة ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ففي تنكير كلمة « شورى » دليل على اطلاقها ومبهمها وانهما ليست على صفة خاصة معروفة بأهلها .. فكل مسلم كان أهلاً للصلاة مكلفاً بها ، كان أهلاً للشورى مطالباً بها ..

ورابعاً : ان الصلاة يجب ان يسبقها قبل الدخول فيها ، اعداد لها بالتطهير والوضوء كما يجب قبل ذلك تحصيل العلم بآرائها ، وشروط صحتها — وكذلك الشورى يجب ان تسبقها طهارة النفس من الهوى وخلوها من الدخيل ، او المداينة ، هذا الى ما ينبغي ان يحيل امانة المشورة ان يتروذ بكبر قدر من العلم والمعرفة ، في كل ما يتصل بأمر الدين والدنيا جميعاً ..

وخامساً : ان للصلاة وقتاً تؤدي فيه ، ماذا جاء وقتها اذن المؤمن بها ، ودعا المسلمين اليها ، « ان هي على الصلاة » .. وكذلك للشورى وقتها الذي تجب فيه .. فإذا حزب المسلمين أمر تعلقوا به ، واجتمعوا له وتشاوروا فيه ...

ذلك هو بعض السر في قرن المشورة باتقامة الصلاة ، ووصلها بها ، لما بينهما من هذه المشابهة الكثيرة ، قدرا واثراً ..

اما وصل « الشورى » بالزكاة من طرفها الآخر ، فانه يشير كذلك الى امور .. منها :

اولاً : ان القرآن الكريم لم يعبر عن الزكاة في هذا المقام بلفظ الزكاة ، بل جاء بها في هذا النظم الكريم « ومما رزقناهم ينفقون » ... فجعلها اتفاقاً من رزق ، وهذا الرزق هو من فضل الله ... وكذلك الشورى هي اتفاق من رزق ، هو مما وهب الله سبحانه من عقل ، ومما رزق اهل العقل من علم ومعرفة وهذا يعني ان ابداء الرأي من قوى الرأي ، هو امر واجب عليهم ، وهو

الزكاة المطلوبة منهم غنيا آتاهم الله من فضله ، من علم ، وحكمة ، واصالة رأى ، وحسن تدبير ..

فمن رأى فى أى أمر من أمور المسلمين خللا ، وكان عنده من الرأى والتدبير ما يصلح به هذا الخلل ، ثم أمسك رأيه وحبس نصحه — كان أكثا .. شأنه فى هذا شأن من كان ذا مال وسعة ، ثم لم ينفق من ماله فى سبيل الله ، ولم يمد حاجة قوى الحاجة من المؤمنين ...

وثانيا : لم يقيد النص التراكبى هنا الاتفاق بالشئ الذى ينفق منه ، من مال ، أو طعام ، أو كساء ، ونحو هذا ، بل جعله اتفاقا مطلقا ، يشمل كل ما يرزقه الله الإنسان من خير ، فسماه سبحانه رزقا ، ليشمل المال ، وغير المال ، من رأى ، وعلم ، ومن ، وكل ما فيه للناس نفع ، فلا يستبد المؤمن وحده برزق رزقه الله إياه ، وفيه فضل وسعة لغيره من المسلمين ...

وثالثا : لم يقيد النص التراكبى كذلك ما ينفق من هذا الرزق بحد محدود ، كالزكاة ، بل جعله اتفاقا مطلقا ، لأنه فى مقام الشورى ، لا يكون الاتفاق بقدر محدود مما يملك الإنسان من علم ، ومما عنده من معرفة بل أن المطلوب منه فى تلك الحال أن ينفق كل ما يملك ، غير ممسك شيئا من رأيه ، أو محتجز شيئا من جهده واجتهاده فى تحرى وجه الحق والتهدى إليه .. ونقرأ الآية الكريمة ، « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

وننظر مرة أخرى فى قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » وفى مقام هذا المقطع من الآية الكريمة وتوسطه بين ما سبقه ، وما جاء بعده من كلمات الله ، فنرى كيف كان احتفاء الإسلام بالشورى ، وكيف أنه أفسح لها مكانا بين فريشتين من فرائضه ، وركتين من أركانه ، هما الصلاة والزكاة اللتان آخى بينهما القرآن فى كل موضع اجتماعا فيه ، ولم يفرق بينهما بشئ من آدابيه وأحكامه إلا حين يكون هذا الشئ داعية من دواعيهما ، أو لازما من لوازميهما ، كما رأينا ذلك فى « الشورى » وأثرها فى حياة الجماعة الإسلامية ، وفى الحفاظ على بنائها الروحية والمادى جميعا .. وكما وقع الفصل أيضا بين الصلاة والزكاة فى قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون » فقد فصل هنا بين الصلاة والزكاة بقوله تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون » لأن من معطيات الصلاة ، ومن آثارها المباركة فى المصلين أن تقطعهم من لغو الكلام وساقطه ، كما أن من معطيات الزكاة ، ومن آثارها الطيبة فى المزكين ، أن يتجنبوا الخسيس الرذل من المال كسبا وانفاقا !

— ٦ —

والسؤال هنا هو : — لماذا كانت الشورى بهذه المنزلة من الإسلام ؟ ولماذا تلتفت إليها الشريعة الإسلامية بهذا القدر ، وتنوّه بها هذا التنويه الذى يرغبها الى مساهمة فرائض الإسلام وأركانه ؟ ولا بد للاجابة على هذا السؤال وما تفرع منه من العودة الى النظر فى قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » ... فهذا الخبر — كما قلنا — هو أمر ملزم للمسلمين بأن يقوم أمرهم على الشورى بينهم ، وهذا يعنى ان يكون المسلمون على كلمة سواء غنيا بينهم من شئون ..

فتكون طريقهم واحدة ، ووجهتهم واحدة ، ويدهم واحدة ، وموقفهم فى مواجهة الأحداث واحدا ، فلا يذهب كل واحد منهم مذهباً ، ولا تركب كل جماعة منهم طريقاً

نالدعوة الى الشورى ، وجعلها شعيرة من شمائل الدين ، هى فى الواقع دعوة الى وحدة الامة الاسلامية ، وحدة عامة شاملة ، تنظم بشاعرها ، وتفكيرها ، واتجاه خطوطها فى الحياة ، فتجمل من الامة كياناً واحداً ، وجسداً واحداً ، الامر الذى اذا تحقق لجماعة من الجماعات ، اقلها فى هذه الحياة فى اكرم مقام ، واعزه ، فلا يصيبها وهن ، ولا ينزل بساحتها ضيم : !

وننظر فى هذا التدبير الحكيم لدعوة الامة الاسلامية الى الوحدة ، وجمعها على كلمة سواء .. انها لم تجيء دعوة قاهرة ملزمة ، من غير أن يقوم الى جانبها الوجود الذاتى للانسان ، والهاتف الشعورى المنبعث من ذاته الى هذه الوحدة ، بل قام مع هذه الدعوة — بل امام هذه الدعوة — دعوة الى الشورى التى ياخذ كل فرد من المسلمين مكانه منها ، ويشارك بنصيبه فيها ، فاذا انتظم للجماعة الاسلامية من تشاورهم فيما بينهم رأى ، كان هذا الرأى قائماً على وجهة واحدة ، هى التى رضىها الجميع ، ونسجوا رأيتها من تلك الخيوط التى اجتمعت من آرائهم جميعاً ، وبهذا تكون مسيرة المسلمين تحت هذه الراية ، مسيرة ينتظمها شعور واحد ، ويحكمها رأى واحد ، وتشدها عزيمة واحدة ، فيكون منهم بهذا نسج واحد متلاحم ، اشبه بنسيج هذه الراية التى تشكلت من مجتمع آرائهم .. وهذا هو بعض السر فى ان جاء النظم القرآنى : « وأمرهم شورى بينهم » بدلا من ان يجيء مثلاً : « وكانوا امة واحدة » او مجتمعاً واحداً .. وذلك أنه لن تكون الامة امة واحدة ، ولن يكون المجتمع مجتمعاً واحداً ، الا اذا تلاقت الأفكار ، وتقاربت المنازع وتوحدت المشاعر ، ولن يتم شيء من ذلك الا بالتشاور فى أمورهم ، وتبادل الآراء بينهم ، وعرض رأى كل ذى رأى فى حرية مطلقة ، بلا حدود ولا قيود !

— ٧ —

فالمسلمون مطالبون ديانة وشريعة ، كما هم مطالبون سياسة وتدبيراً ان يقيموا أمرهم كله على الشورى بينهم .. وهذا من شأنه ان يجعلهم دائماً فى تواصل ، وفى تواصل بالنصح ، ومشاركة فى السراء والضراء ، حيث يجد المرء انه مطالب بأن يكشف لآخره عن المشكلات التى تعرض له ، كما يجد صاحبها انه مطالب بأن يبذل له الرأى والنصيحة فى صدق واخلاص ، بل وان يسمى معه ما استطاع ، فى دفع الضر عنه ، وحمل بعض الهم الذى نزل به ، حسبة لله ، واداء لحق وجب عليه ..

فاذا كان الامر المعارض من البلايا العامة التى تمس المجتمع ، او طائفة منه ، تتحدى اليها المسلمون وتداعوا عليها بالرأى والعمل معاً ، وحمل كل منهم هيبها ، وتشارك فى دفعها بكل ما وسعته من جهد وبما ملك من مال ونفس وولد !

وهذه المشاركة الجماعية التى تتم بين المسلمين فى مجلس المشورة الذى ينعقد بينهم للنظر فى شئونهم الخاصة ، والعامة — هذه المشاركة هى التى

توحد مشاعر المجتمع الاسلامى ، وتشد المسلمين بعضهم الى بعض ، وتجمل منهم جسدا واحدا ، فلا يشعر احد منهم انه بمنجاة من الخطر الذى يتهدد اى عضو من اعضاء الجماعة !

ومن جهة اخرى ، فان فى عرض مشكلات المجتمع على الجماعة ، وفى طلب الراى والنصيحة من افرادها ، تربية للفرد على أداء وظيفته الاجتماعية فيها وافتتاح مكان له بينها .. وهذا من شأنه أن يهيئ للفرد فرصا طيبة ، يبرز فيها وجوده ويربى فيها ملكاته وينمى قدراته واستعداداته ، حتى يكون أهلا للمشورة ، ووجها من وجوهها البارزة ، وهذا بدوره داعية قوية تدعوه الى طلب العلم ، والمعرفة ، والى لقاء الجماعة بما حصل من علم ، وما وصى من معرفة ..

ومن جهة ثالثة ، فان عرض الآراء وفى تطليب وجوها تصحيح لكثير من الآراء الخاطئة وتصحيح للمشاعر التى تتولد عن هذه الآراء .. فإذا أقام المرء رأيه عن مشورة ومناصحة فى امر من الأمور ، كان هذا الامر عزيزا عليه ، حريصا على اتجاهه وانجاح شمرته ، ولهذا كانت دعوة الله سبحانه وتعالى الى النبى الكريم : ان يقيم امره فى المسلمين على الشورى ، فيقول له سبحانه : « فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .. » فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » (٥٩ آل عمران) والرسول صلوات الله وسلامه عليه — بما أراه ربه فى غنى عن المشورة ، وعن أخذ الراى من احد ، اذ كان انما ينطق بالحق من الحق ، كما يقول سبحانه « وما ينطق عن الهوى » (٣ النجم) ولكن هكذا أقام الله سبحانه امر النبى مع الجماعة الاسلامية على المشورة ، حتى تصحح الآراء الخاطئة على ضوئها ، وحتى يشارك الجميع مع النبى فى اقامة الراى ، وفى حمل تبعة المسؤولية فيما ينبج عنه .. وحتى لا يقول قائل كما قال المنافق عبد الله بن ابى فى شتمته ونسف بعد عزوة احد : « لو كان لنا من الامر شئ ما قلنا هاهنا » (١٥٤ آل عمران) .

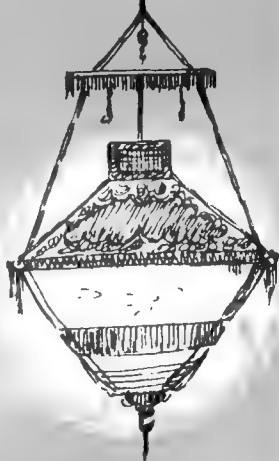
هذه هى بعض ملامح « الشورى » فى الاسلام وهى — كما ترى — وثيقة من أروع الوثائق ، ويستور من اقوم الدساتير فى بناء المجتمع ، وفى وصل مشاعر افراده بعضها ببعض ، وفى صب آراء افراده فى مجرى واحد ، يفيض بالخير والبركة عليهم جميعا ..

فهل انتفع المسلمون بهذه الدعوة التى يدعوهم اليها دينهم ، وتأخذهم بها شريعتهم ؟ وواقع الحال ينطق بغير هذا .. غلو استقام المسلمون على مبدأ الشورى لما كانوا شيعة ومزقا ، ولكنوا فى مواجهة الخطر الذى يتهدد وجودهم يدا واحدة ، تدفع هذا الخطر ، وترد هذا البلاء الذى تهب اعاصيره الهوجاء على الامة الاسلامية من كل افق ..

وعزأونا فى هذا المصائب فى وحدة امتنا هو ان مواد بناء هذه الوحدة قائمة لا تزول ، خالدة لا تقنى ، وانه اذا فترت الهمم ، وضعفت العزائم عن اقامة هذا البناء فى جيل أو أكثر من اجيال هذه الامة فان الأمل لا يزال معقودا على اجيال اخرى تعيد هذا البناء ، وتجند ما تهدم منه .. والله سبحانه وتعالى يقول : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » .

شهر رمضان

حل بنا شهر عظيم مبارك ألا وهو
 شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام
 وتلاوة القرآن ، شهر العتق
 والغفران ، شهر الصدقات
 والاحسان ، شهر تفتح فيه أبواب
 الجنات وتضاعف فيه الحسنات وتقال
 فيه العثرات ، شهر تجاب فيه
 الدعوات وترفع الدرجات وتغفر فيه
 السيئات ، شهر يجود الله فيه
 سبحانه على عباده بأنواع الكرامات
 ويجزى فيه لأوليائه العطيات ، شهر
 جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام
 فصامه المصطفى صلى الله عليه
 وسلم وأمر الناس بصيامه وأخبر
 عليه الصلاة والسلام أن من صامه
 إيماناً واحتساباً غفر الله له
 ما تقدم من ذنبه ومن قامه إيماناً
 واحتساباً غفر الله له ما تقدم من



الدين والدنيا .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى بعض فوائد الصوم في قوله صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الصوم وجاء للصائم وسيلة لطهارته وعفائه وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجارى ويذكر بالله وعظمته فيضف سلطان الشيطان ، ويقوى سلطان الايمان ، وتكثر بسببه الطاعات من المؤمن ، وتقل به المعاصي .

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمقابل من ذوى البصيرة ، ومنها أنه يطهر البدن من الاخلاق الرديئة ويكسبه صحة وقد اعترف بذلك كثير من الاطباء ، وعالجوا به كثيرا من الامراض وقد ورد في فضله وفريضة آيات وأحاديث كثيرة قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . ايها معبودات » الى ان قال غز وجل « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هاكم ولعلكم تشكرون » وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام

ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه الى الخيرات والمبادرة فيه الى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى كل خير لتفوزوا بالكرامة والاجر العظيم .

وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة منها تطهير النفس وتهذيبها وتركبتها عن الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل وتعويدها الاخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيها يرضى الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه ومقره الى ربه سبحانه وتعالى ، ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضا بحاجة أخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه والاستمانة بنعمه على طاعته ومواساة أخوانه الفقراء والاحسان اليهم .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه الفوائد في قوله عز وجل « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لتنقيته سبحانه فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه من اخلاص لله عز وجل ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقى العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ووسيلة قوية الى التقوى في بقية شئون

الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان
وجج البيت ..

وأخرج الترمذى عن معاذ بن جبل
رضى الله عنه قال قلت يا رسول
الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة
ويباعدنى عن النار فقال لقد سألت
عن عظيم وأنه ليسير على من يسره
الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً
وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم
رمضان وتحج البيت أن استطعت إليه
سبيلاً . ثم قال النبى صلى الله
عليه وسلم إلا أدلك على أبواب الخير
الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة
كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل
فى جوف الليل ثم تلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :
« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون
ربهم خوفاً وطيمناً وما رزقناهم
ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم
من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »
ثم قال عليه الصلاة والسلام إلا أخبرك
برأس الأمر وعموده وذروة سنامه .
قلت بلى يا رسول الله فقال :
رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة
وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله
ثم قال صلى الله عليه وسلم إلا
أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى
يا رسول الله قال : كف عليك هذا
وأشار إلى لسانه فقلت يا رسول
الله وأنا لمؤاخون بما نتكلم به ؟
فقال صلى الله عليه وسلم . تكلمت
أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار
على وجوههم أو قال على مناخرهم
إلا حصائد السنتهم » .

ان الصوم عمل صالح عظيم وثوابه
جزيل ولاسيما صوم رمضان فإنه
الصوم الذى فرضه الله على عباده
وجعله من أسباب الفوز لديه ، وقد
ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال : « كل

عمل ابن آدم له الخسنة بعشر أمثالها
إلى سبعمائة ضعف يقول الله عز
وجل إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزي به
أنه ترك شهوته وطمامه وشرابه من
أجلى للصائم فرحان فرحة عند فطره
وفرحة عند لقاء ربه ولخلافه فم
الصائم أطيب عند الله من ريح
المسك » وفى الصحيح عن النبى صلى
الله عليه وسلم أنه قال (إذا دخل
رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت
أبواب النار ، وسلسلت الشياطين .
وأخرج الترمذى وابن ماجه عن النبى
صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا
كان أول ليلة من رمضان صدقت
الشياطين ومردت الجن وفتحت أبواب
الجنة فلم يفلق منها باب وغلقت
أبواب النار فلم يفتح منها باب وينادى
بنادى يا باغى الخير أقبلس يا باغى
الشر أقصر والله عتقاء من النار وذلك
كل ليلة » .

وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه كان يبشر أصحابه بقدوم شهر
رمضان ويقول لهم جاء شهر رمضان
بالبركات فمرحبا به من زائر وآت ،
وأخرج ابن خزيمة عن سلمان الفارسي
عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه خطب الناس فى آخر يوم من
شعبان فقال : « أيها الناس إنه قد
أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه
ليلة خير من ألف شهر جعل الله
صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من
تقرب فيه بخصاله من خصال الخير
كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن
أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين
فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر
والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة
وشهر يزداد فيه رزق المؤمن إلى أن
قال : « فاستكثروا فيه من أروع
خصال خصلتين ترضون بها ربكم
وخصلتين لاغناء بكم عنهما أما

الخصلتان اللتان ترضون بهما ريكسم
فشهادة أن لا اله الا الله والاستغفار
وأما الخصلتان اللتان لاغناء بكم
عنهما فتسالون الله الجنة وتعونون
به من النار .

وفى الحديث الصحيح عن أبى
هريرة رضى الله عنه أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال : (من
صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر
الله له ما تقدم من ذنبه ومن صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر الله
له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة
القدر ايمانا واحتسابا غفر الله له
ما تقدم من ذنبه .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان فى الغالب لا يزيد فى رمضان
ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة
يصلى اربعا فلا تسال عن حسنهن
وطولهن ثم يصلى اربعا فلا تسال عن
حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا وثبت
فنه صلى الله عليه وسلم انه فى
بعض الليالى يصلى ثلاث عشرة
ركعة وفى بعضها اقل من ذلك
وليس فى قيام رمضان حد محدود
لقول النبى صلى الله عليه وسلم لما
سئل عن قيام الليل تسال مفتى ماذا
خشى احدكم الصبح صلى ركعة واحدة
توتر له ماقد صلى ولم يحدد صلى
الله عليه وسلم للناسى فى قيام
الليل ركعات معدودة بل اطلق
لهم ذلك فمن احب أن يصلى احدى
عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة
أو ثلاثا وعشرين أو أكثر من ذلك
أو أقل فلا حرج عليه ولكن الأفضل
هو ما فعله النبى صلى الله عليه
وسلم ودام عليه فى أغلب الليالى
وهو احدى عشرة ركعة مع الطمأنينة
فى القيام والقعود والركوع والسجود
وترتيل التلاوة وعدم العجلة لأن
روح الصلاة هو الاقبال عليها بالقلب

والخشوع فيها وأداؤها كما شرح
الله باخلاص وصدق ورغبة ورهبة
وحضور قلب كما قال الله سبحانه
« قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم
خاشعون » وقال : النبى صلى الله
عليه وسلم (وجعلت قرّة عينى فى
الصلاة) وقال : للذى أساء فى صلاته
إذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء
ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ
ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى
تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل
قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم
ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد
حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك فى
صلاتك كلها .

وكثير من الناس يصلى فى قيام
رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن
فيها ، بل ينقرا نقرأ وذلك لا يجوز
بل هو منكرا لا تصح معه الصلاة
فالواجب الحذر من ذلك ، وفى
الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال أسوأ الناس سرقة الذى
يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله
كيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها
ولا سجودها ، وثبت عنه صلى الله
عليه وسلم انه أمر الذى نقر صلاته
أن يعيدها .

فيا معشر المسلمين عظموا الصلاة
وادوها كما شرح الله واغتنبوا هذا
الشهر العظيم وعظموه رحبكم الله
بأنواع العبادة والقربات - وسارعوا
فيه الى الطاعات فهو شهر عظيم
جعل الله ميدانا لعباده يتسابقون
اليه فيه بالطاعات ، ويتنافسون فى
أنواع الخيرات ، فأكثروا فيه رحبكم
الله من الصلاة والصدقات وقراءة
القرآن الكريم والأحسان الى الفقراء
والمساكين والايّام والتعاون على
البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر والدعوة الى الخير .

والبخل بالزكاة وأكل أموال اليتامى وأنواع الظلم وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والفية والنميمة والسكذب وشهادة الزور والدعوى الباطلة والايمن الكاذبة والتكبر واسبال الثياب واستسراع الاغاني وآلات الملاهي وتبرج النساء وعدم تسترهن من الرجال وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله .

وهذه المعاصي التي ذكرنا محرمة في كل زمان ومكان ولكنها في رمضان أشد تحريماً وأعظم أثماً لفضل الزمان وحرمة من اقتبح هذه المعاصي وأخطرها على المسلمين ما ابتلى به الكثير من الناس من التفتاقل عمن الصلوات والتهاون بإدائها في الجماعة في المساجد ولا شك ان هذا من اقتبح خصال أهل النفاق ومن اسباب الزيغ والهلاك قال تعالى : « أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالا » وقال : النبي صلى الله عليه وسلم (من سمع الندى فلم يأت فلا صلاة له الا من عذر ، وقال له : صلى الله عليه وسلم رجل أعمى يا رسول الله اتني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلائمني فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي — فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل تسمع النداء للصلاة ؟ قال : نعم قال : فأجب . وقال : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة الا منافق معلوم النفاق او مريض وقال : رضي الله عنه لو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيوتكم لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ..

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان فافتتدوا به صلى الله عليه وسلم في مضاعفة الجود والاحسان في شهر رمضان ، وأعينوا اخوانكم الفقراء على الصيام والقيام ، واحتسبوا اجر ذلك عند الملك العلام واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) وقال عليه الصلاة والسلام (الصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فان امرء سابه أحد فليقل اني امرء صائم) وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (ليس الصيام من الطعام والشراب وانما الصيام من اللغو والرفث) وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (الصلاة الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتبت الكبائر) .

وقال جابر بن عبد الله الاتصاري رضي الله عنه اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع اذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء .

فينبغي للصائم الاكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل والاكتسار من الصلوات والصدقات والاستغفار وسائر انواع القربات في الليل والنهار اغتناماً للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات ومَرْضَاتِ فاطر الارض والسموات ، واحذروا رحمكم الله كل ما ينقص الصوم ويضعف الاجر ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي كالتهاون بالمصلاة

الحرير وشرب المسكرات واستعمال آلات الملاهي وقد وقع ذلك كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع . فأتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والمغفرة والنجاة في الدنيا والآخرة والله المسئول ان يعصمنا والمسلمين من اسلب غضبه ، وأن يتقبل منا جميعا صيامنا وقيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخل بهم أعداءه وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبت عليه والحكم به والتحاكم اليه في كل شيء انه على كل شيء قدير وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم .

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضا ما بلى به الكثير من الناس من استماع الأغاني وآلات الطرب وإعلان ذلك في الأسواق — وغيرها ولا ريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به ومن أعظم الأسباب أيضا في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا أولئك لهم عذاب مهين » وقد نمر أهل العلم لهو الحديث بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف والحر هو الفرج والحرير معروف والخمر هو كل مسكر والمعازف هي آلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب والمعنى انه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس



يَبْحَثُ الشَّاعِرُ عَنْ

أنا أبحثُ في الأرض طويلاً

أبحثُ عن قارئِ الضائعِ

أبحثُ عن إنسانٍ قلقٍ يحترق على وهج الواقعِ
ويعيش العُمْرَ على أمل الإبحار إلى الشيء الرائعِ
ويعتبي كلَّ جيوب الصمتِ بتسوقٍ ظمآنٍ جائعِ
إنسانٍ يرفض أن يحيا إلا إنساناً .. ويتابع
لا يعرف خلفاً .. ووراء .. رحلته عن فجرٍ طالعِ

أنا أبحث في الأرض طويلاً

أبحث في شوقٍ عن حرفٍ

حرفٍ لم يُهزَم في شفةٍ شهَرتهُ في وجه الخوفِ
فالْحَرْفُ تَهَرَّأَ خلفَ جبال الصمتِ على لُهب الزئيفِ
وانهار .. ونام على العتبات .. وعانق أحلام الصيفِ
وتلفَّع في ليل الآلام مُسْوَحَ بَرَاءاتِ الطيفِ
من لي بالحرف كما وَلَدَتْهُ الكلمةُ عملاقَ الزحفِ ؟

سَيْفٌ وَعَرَفٌ

أَنَا أُبْحَثُ فِي الْأَرْضِ طَوِيلًا
أُبْحَثُ عَنْ قَلْبَيْنِ أَحَبَّ

وُلِدَا فِي أَرْضٍ لَمْ تَعْرِفْ وَجْهًا لِلْأَحْقَادِ وَشَبَابًا
أُبْحَثُ عَنْ قَلْبَيْنِ حَيَمِينَ اتَّحَدَا فِي الْعَالَمِ قَلْبًا
مِرَاثِي ٠٠ لَا تَعْكَسُ إِلَّا قَلْبَيْنِ لَدُودَيْنِ أَكْبَا
حَتَّى صَدَثَتْ عَيْنَا الْمِرَاةِ وَعَادَتْ لَا تَعْكَسُ دَرْبًا
لَوْ أَنَا فَتَشْنَا فِي وَجْهِ الْحَقْدِ فَلَنْ نُبْصَرَ رَبًّا

أَنَا أُبْحَثُ فِي الْأَرْضِ طَوِيلًا
أُبْحَثُ عَنْ كُلِّ الْأَشْيَاءِ

أُعْطِي لِّلْوَنِ هَيْوَلَى اللَّوْنِ.. وَأُهْرَقُ فِي الظِّلِّ الْأَضْوَاءِ
أَعْقُدُ خَاصِرَةَ الْوَعْيِ طُمُوحًا فِي سَارِيَةِ الْأَجْوَاءِ
أَتَمَدَّدُ فِي الْأَرْضِ جَذُورًا لِلشَّجَرِ النَّابِتِ فِي الصَّحْرَاءِ
أُضْرِبُ بِالسَّيْفِ.. وَأَهْجُو بِالْحَرْفِ الْمُتَوَضِّعِ جَبَنَاءِ

أَنَا أُبْحَثُ فِي الْأَرْضِ طَوِيلًا
عَنْ أَرْضٍ تُفْضِي لِسَمَاءِ

جَوَانِبُ مِنْ أخطاءِ المُبَشِّرِينَ

الدراسات القرآنية

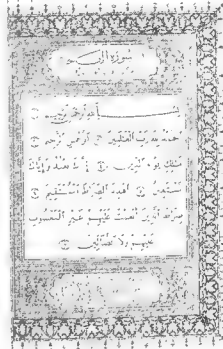
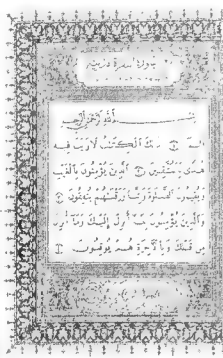
للدكتور: عبد العال سالم مكرم

بينت في مقال سابق (١) بعضاً من الدراسات القرآنية التي قام بها بعض المستشرقين ، وكان هدفي من هذا البيان هو إتاحة الفرصة لشبابنا المثقف ليقف على هذه البحوث ، ويدرك ما فيها من صواب أو خطأ ليكون على بينة من أمر هذه الدراسة القرآنية التي كتبت بأقلام قوم عاشوا في هذه الدراسات وأنفوا أعمارهم فيها من أجل المعرفة والعلم أحياناً ومن أجل الأغراض الخفية ، وتشويه الحقيقة أحياناً وفي هذا المقال سأحاول عرض جوانب من أخطاء المستشرقين في الدراسات القرآنية .

أولاً : في النص القرآني وتوثيقه :

نحن نعلم أن القرآن الكريم وصل إلى الذروة العليا في التوثيق ، وهذا سر عظمته ، ومفتاح خلوده ، أتفق أهل العلم والمعرفة على هذه الحقيقة وحينها أقول : أهل العلم والمعرفة غانما أعنى هؤلاء الذين سميت عقولهم وأشرفت بصائرهم ، وكان الحق رائدهم .

وقد سجل هذا القرآن الكريم تسجيلاً رائعاً في مصحف لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، يقول ابن حزم في مجال هذا التوثيق (أن هذا القرآن ظل ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلاً جيلاً لا يختلف فيه مؤمن ، ولا كافر



منصف غير معاند للمشاهدة . . لا يشكون ولا يختلفون في أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به ، وأخبر أن الله عزوجل أوحى به إليه ، وأن من اتبعه أخذه منه كذلك ، ثم أخذ من أولئك حتى بلغ إلينا (٢) ، وكانت الخطوة الأولى في توثيق النص القرآني على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته حين النزول ، ومنع كتابة شيء سواه ، والنسب في ذلك يرجع إلى صيانة القرآن الكريم من الاختلاط بغيره ، يدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليحبه) (٣) .

وقد حدثنا أبو سعيد الخدري أنه قال : استأذنت النبي عليه السلام أن أكتب الحديث فابى أن يأذن لي (٤) .

ولم يكن أبو سعيد الخدري في هذا المجال وحده ، فقد شاركه في الرواية أيضاً أبو هريرة الذي يقول : (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نكتب الأحاديث ، فقال : يا هذا الذي تكتبون ؟ قلنا أحاديث سمعناها منك ! قال : اكتبوا غير كتاب الله تريدون ؟ ما أضلل الأمم من قبلكم إلا ما اكتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى) (٥) .

من هذه الأحاديث الشريفة يتضح لنا في جلاء أن القرآن الكريم وفق توثيقاً مكيناً في عهده صلى الله عليه وسلم ، لأنه كتب كله بأقلام كتاب الوحي بيد أنه لم يجمع في مصحف ، لأن الحاجة لم تكن ماسة إليه ، ولأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتسابقون في حفظه ، ويتبارون في كتابة نسه والرسول عليه السلام معهم يطلو عليهم من آياته ما تلين القلوب .

وقد أدرك الإمام السيوطي هذا السر فقال في كتابه : (الاتقان) ما نصه :
(قال الخطابي : أنها لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان
يرتقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلافوته ، فلمّا انقضى
نزوله ، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وغاء بوعده الصادق بضمّان حفظه على
هذه الأمة (١) .

رأى المستشرقين في هذا التوثيق :

يقول (آرثر جفري) في مقدمته لكتاب (المصاحف) لابن أبي داود ما نصه :
(الرأي الشائع في أن القرآن الكريم كتب في عهد النبي عليه السلام لا يقبله
المستشرقون ، لأنه يخالف ما جاء في أحاديث أخرى أنه قبض صلى الله عليه وسلم
ولم يجمع في القرآن شيء) .

ويؤمن (آرثر جفري) بهذه القضية ، ويؤكد إيمانه بها بقوله : (وهذا
يطابق ما روى من خوف عمر بن الخطاب ، وأبي بكر الصديق لما استمر القتل
بالقراء يوم اليمامة . . وسبب الخوف هو قتل القراء الذين كانوا قد حفظوا القرآن
ولو كان القرآن قد جمع ، وكتب لما كانت هناك علة لخوفهما) (٧) .

واعنى هذا القول ، وأطلق التفكير فيه ، ولم أجد سبباً قوياً يحمل هؤلاء
المستشرقين إلى هذا القول الباطل غير التشكيك في النص القرآني ، لأن الذاكرة
مهما كانت قوية ، فإنها لا تستطيع أن تحتفظ بها لديها فترة طويلة ، ومعنى ذلك
أن القرآن الكريم يكون شأنه في مجال الذاكرة والحفظ شأن الشعر المروى عرضة
للزيادة والنقص بل عرضة للتغيير والتبديل .

وفي رأيي أن الدليل مفقود في هذه القضية ، فليس المراد من الأحاديث التي
تقول : أن النبي عليه السلام قبض ، ولم يجمع في القرآن شيء ، أن القرآن لم يكن
مكتوباً حين ذاك ، بل المراد أن القرآن الكريم لم يجمع في مصحف ، وقد قدمت
السبب في ذلك ، فمفسر المستشرقين لهذه الأحاديث أو الأخبار بهذا المعنى الذي
يخالوه تفسير خاطيء وراءه ذلك الغرض الخفي ، وهو اهتزاز الثقة بالنص القرآني
على أنه ليس هناك أصح من الروايات التي تؤيد كتابة القرآن في عهد الرسول
عليه السلام ، والتي تؤكد : (أن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا) (٨) .

وأما خوف عمر بن الخطاب ، وأبي بكر الصديق حين استمر القتل بالقراء
يوم اليمامة فالاستدلال به في غير موضعه ، لأن خوفهما زيادة تحر في صيانة
القرآن الكريم وحفظه ليلتقى المحفوظ بالمكتوب وذلك لأن طريقة أداء هذا المكتوب
لا يتأتى إلا عن طريق التلقين والرواية ، ومن ثم نشأ خوف الخلفيتين الجليلين من
أن يموت القراء ، فتمتثر طريقة الأداء (٩) .

ثانيا : فى رسم المصحف العثماني والقراءات :

يقصد بالرسم رسم الحروف الهجائية التى تدل على الكلام ، ورسم الكلمات فى القرآن كان غاية ما وصل اليه من الرسم الأملئى فى هذا العهد ، وكتب القرآن الكريم بهذا الرسم ، وأطلق عليه الرسم العثماني ، لأن عثمان رضى الله عنه حينما كتب المصحف وضع للثلاثة القرشيين الطريقة التى أساسها يكتبون فقال : (اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش فانها نزل بلسانهم) (١٠) .

فهذا الرسم الذى سار عليه كتابة المصحف العثماني اصطلاحى يسير على قواعد الكتابة التى كانوا بها يكتبون .

ولماذا اتخذ المصحف هذا الرسم شعارا له أصبح سنة متبعة لا تخالف ، ذلك لأن رسوم الهجاء تتغير من زمن الى زمن ، بل من شعب الى شعب ، فصيافة لكتاب الله من عبث المأبئين ، وأغلاقا لباب التغيير فيه ، واحداث ما ليس منه أصبح هذا الرسم مقدسا لا يمس .

ومن هنا (قال اشهب : سئل (مالك) هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا إلا على الكتابة الأولى) (١١) ، وقال الامام أحمد : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك) (١٢) .

وقال البيهقي فى شعب الأيمان : (من كتب مصحفا غيبيفى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استداركا عليهم) (١٣) .

وأذا كان رسم المصحف العثماني لا يخالف ، ولا يصح الخروج من رسمه فهل هذا يعنى أن هذا الرسم نلزمنا القراءة به ، وأنه صورة للكلمات القرآنية المنطوقة ، وأنه بهذا الاعتبار يحدد طريقة القراءة أو الأداء كما يحدد طريقة الرسم أو الكتابة ؟

الحق الذى لا رمية فيه أن الرسم غير القراءة ، لأن القراءة مصدرها الرواية ، والرسم مصدره طريقة الكتابة المعروفة اذ ذاك ، وبناء على هذا أننا نقرأ الآية ، وننطق بكلماتها كما رويت لا كما رسمت ، ولو سرتنا فى طريق الرسم وحده لخرجنا بالقرآن عن حقيقته التى نزل بها ، وترتب على ذلك أننا نقرأ كلمات من القرآن بطريقة لم ترو عن النبى عليه السلام .

رأى المستشرق (جول تسيهر) فى رسم المصحف والقراءات :

يقرر ذلك المستشرق أن نشأة الكثرة من القراءات المختلفة ترجع الى رسم المصحف ، يقول : (وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات — يقصد الاختلاف فى القراءات — الى خصوصية الخط العربى .. الى أن يقول : وأننا نختلف

تخلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات . . . كلنا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوفا أصلاً ، ولم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه (١٤) .

وعجبت كيف يتورط ذلك المستشرق في هذا الخطأ الفادح ؟ ومن أين تسرب الى فكره هذا الرأي الخطير الذي يرجع الكثرة من القراءات الى الخط أو الى رسم المصحف ، أنه بهذا الرأي يهدم الحقيقة التي استقرت في نفوس المسلمين أن القراءات مصدرها الرواية والسماع لا الخط والرسم .

قلت في نفسي : لعل هذا المستشرق استقى هذا الرأي من الزمخشري حينما وقف من قراءة ابن عابر للآية المشهورة في سورة (الانعام) : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم) (١٥) برفع القتل ونصب الأولاد ، وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء ، والفصل بينهما في غير ظرف .

وكان من رأى الزمخشري أن هذه القراءة مردودة ، وأرجع الزمخشري خطأ ابن عابر في هذه القراءة الى رسم المصحف حيث قال : (والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء) (١٦) ومعنى ذلك أن ابن عابر اعتد على المصحف ، ولم يعتد على الرواية .

ومن هنا فتح الباب امام المستشرق فقال ما قال :

يقول ابو حيان الأندلسي صاحب البحر المحيط وأعجب لعجبي ضعيف في النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، وأعجب لسؤ ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ، وقد اعتد المسلمون على نقلهم لضبطهم ، وفهمهم ، وديانتهم (١٧) .

وقد جانب الصواب هذا المستشرق حينما عرض هذه المخالطة التي تتجافى عن الواقع وعن التاريخ .

أما مجافاتها للواقع ، فانه لو كانت القراءات ترجع الى رسم المصحف لراعتنا هذه الكثرة الهائلة من القراءات التي يحتملها الرسم ، والتي لم يثبت أو لم ترو عن النبي عليه السلام .

ذلك لأن الرسم تحتل الكلبة فيه ، وبخاصة اذا لم تكن منقوطة أو مجردة من الحركات وجوها عدة من القراءات .

والقراءات التي بين ايدينا والتي صنفها العلماء . ووفقوا في عرضها ، وتبينوا من سندها قراءات معروفة محدودة ، وكلها ترجع الى الرواية والنقل والى الكتابة والرسم .

وربما كان من اكبر الأدلة على بطلان رأى جولد تسيهر (أن هذه القراءات رويت وشأت القراءة بها قبل تدوين المصاحف ، كما كان القرآن محفوظاً في الصدور قبل تدوين المصاحف ، ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط عرف ، ولا الشكل اختراع فظهرت حركة القراءات قبل النقل والضبط . فكانت قراءاتهم للكلبة على حسب ما يروون وينقلون لا على حسب ما يقرعون في المصاحف) (١٨) .

وإذا كان نقل اللغة عن الصحف أمر معيب بعد تصحيحها ، فالأمر كذلك بالنسبة للمصحف فمن نقل القرآن عنه ، وأغلق أذنه دون الرواية ، وقع في التصحيف ، الرواية مثلاً حفظ القرآن من المصحف ، وقد أخذ عليه أنه كان يقرأ : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) (١٩) بالباء الموحدة (٢٠) . وحزمة الزيات ، كان يتعلم القرآن من المصحف فقرأ يوماً ، وأبوه يسمع (ألم ، ذلك الكتاب لا زيت فيه) (٢١) فقال أبوه : دع المصحف ، وتلق من أفواه الرجال (٢٢) .

ومن أجل هذه التصحيحات التي تخل بمنطق الآيات قالوا : (لا تأخذوا القرآن من مصحف ، ولا العلم من صحفى) (٢٣) .

والى هذا الوقت نجد معالم (الكتاب) يتبدى مع التلميذ الصنفير أول ما يتبدى بتحفيظ القرآن الكريم قبل أن يجيد القراءة والكتابة ، لإيمانه أن قراءة القرآن أمر لا يؤخذ من الخط والرسم .

وأما مجافاتها للتاريخ ، فإن عثمان رضى الله عنه جرد المصحف من النقط ليحتل رسمه القراءات المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يحدده فى قراءة بعينها أو حرف بعينه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على صنيع عثمان فى المصحف ، وعلى رسمه ، وبذلك كانت هذه القراءات العديدة لا ترجع الى الرسم ، وإنما مرجعها الأول والأخير الى السند والرواية .

والدليل الأوضح الذى يهدم رأى المستشرق هو محاكمة ابن شنبوذ الذى ثار عليه العلماء من أجل رايه الذى يقول فيه : ما وافق خط المصحف العثماني صحت القراءة به متى صح وجهه فى العربية بقطع النظر عن الرواية (٢٤) . هذا وقد رجح ابن شنبوذ عن رايه لما أدب وعذب واستتيب (٢٥) .

ثالثاً : الأعراب والقرآن الكريم :

بدأت حركة الأعراب فى القرآن الكريم بتنقيط المصحف على يد أبى الأسود ورووا أنه أحضر له زياد بن أبيه ثلاثين رجلاً لهذا العمل العظيم ، فاختار منهم أبو الأسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس فقال له : خذ المصحف ، وصيغاً يخالف المداد ، فإذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق الحرف ، وإذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف ، وإذا اكسرتها فاجعل النقطة فى أسفله ، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات عنه ، فانقط نقطتين ، فابداً بالمصحف حتى أتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك (٢٦) .

رأى كارل فولرس فى اعراب القرآن الكريم :

هذا الرأى أحدث ضجة بين العلماء فى الغرب والشرق ذلك لأن صاحب هذا الرأى قال : (أن القرآن الكريم قد نزل فى الأصل بلهجة محلية من اللهجات العربية ، وأنه لم يكن معرباً ، ثم أدخل الأعراب عليه على وفق قواعد لغة الشعر) (٢٧) .

وقد ردد هذا الرأي من المستشرقين ، كاله ، وحاييم دين ، وشبهة هؤلاء أن كاله (وجد في مخطوطين عثر عليهما في لندن أحاديث في الحث على التزام قواعد الأعراب في قراءة الكتاب العزيز ، فاستدل بها على أن الناس لم يكونوا يراعون الأعراب في قراءة كتاب الله ، في بادئ الأمر ، ثم روى الأعراب فيها على وفق قواعد المنطق المضبوطة في الشعر العربي والتي دونها علماء النحو فيها بعد) (٢٨) .

مناقشة هذا الرأي :

إن العلة الأولى لهذا الرأي الخطير ترجع الى وجود بعض أحاديث تنص على التزام الأعراب في قراءة القرآن كالحديث الذي رواه أبو عبيدة بامسناد له عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعرّبوا القرآن وكحديث ابن مسعود قال : أعرّبوا القرآن فأنه عربي .

وكحديث عمر بن الخطاب : تعلموا أعراب القرآن كما تتعلمون حفظه (٢٩) .

والواقع أن هذه الأحاديث والأخبار فيها نظر ، لأن الأعراب لم يظهر بمعناه الاصطلاحي إلا في عصر متأخر .

وفي نظري أن المراد بالأعراب هنا الإبانة والتوضيح ، ولهم الغريب : (وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسمون هذا الغريب (أعراب القرآن) لأنهم يستبينون معانيه ، ويخلصونها) (٣٠) .

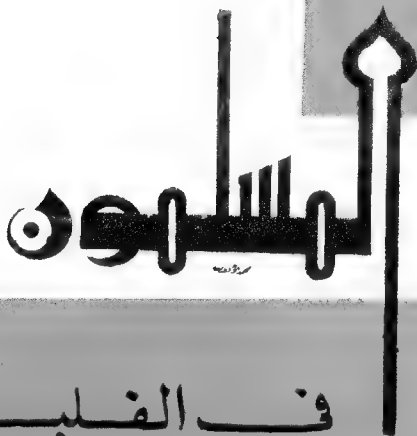
على أية حال أستطيع أن أؤكد في هذا المقال أن هذا الفهم الذي فهمه بعض المستشرقين يدل على جهل باللغة ، بل على جهل بالتاريخ . أما الجهل باللغة ، فإن الأعراب هنا كما قلت : معناه ، الإبانة والوضوح ، يقول الفيروز آبادي : الأعراب : الإبانة والأفصاح عن الشيء (٣١) .

وأما أن يرجع الأعراب الى بيان حاله وحرامه ، أي تعلموا على ما فيه من حلال فأعلموا به ، وعلى ما فيه من حرام — فتجنبوه يدل على ذلك أن الصحابة كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم ، والعمل جميعا (٣٢) .

وأما الجهل بالتاريخ ، فإن القرآن الكريم نزل على قوم تمكنت من السننهم الفساحة وغذوا بلبان البلاغة ، وتدريبوا على ميادين القول ، ولن يكون ذلك إلا بأعراب ، ولو كان بلهجة محلية كما يقول بعض المستشرقين لسهل الأمر وأصبح القرآن غير معجز ، لأنه من السهل الإتيان بمثله ، ومن السهل أن يتدنر هذا القرآن كما أئندثرت بعض هذه اللهجات ، وأصبحت ، أثرا بعد عين أما القرآن الكريم قائم بيننا بصولته البلاغية ، يتحدى أرباب القول ويعجز أساطين البلاغة ، وهو الذي خلّد هذه اللغة ، وخلّد أعرابها ، وجعلها حية بعد هذه السنين الطويلة التي طوت فيها طوت كثيرا من اللغات ، فأنه لا سبيل الى إنكار أنه نزل معربا ، وأن القول في ذلك قول مغرض أكبر الظن أن فتح الثغرات في جبهة القرآن لينال

منه من ينال كان من دأب هؤلاء المستشرقين ، ولكن القرآن الكريم أكبر من هذه السخافة ، وأقوى من هذه الفتنة ، وصدق الله العظيم . . انا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون .

-
- (١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٢ ص ٧١ .
 (٢) تقييد العلم للطبيب البغدادي ص ٢٩ .
 (٣) تقييد العلم للطبيب البغدادي ص ٣٢ .
 (٤) تقييد العلم للطبيب البغدادي ص ٣٣ .
 (٥) الانتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص ٥٧ .
 (٦) المصاحف لابن أبي داود ص ٥ .
 (٧) المرجع السائل والصفحة .
 (٨) مقتبتان في علوم القرآن ص ٢٧ .
 (٩) انظر : كتاب القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية طبع دار المعارف لصاحب البحث ص ٥ .
- الانتقان ج١ ص ٥٩ .
 (١١) الانتقان ج٢ ص ١٦٧ .
 (١٢) مفتاح السعادة ج٢ ص ٢٢٥ .
 (١٣) مفتاح السعادة ج٢ ص ٢٢٥ .
 (١٤) تفسير المذاهب الإسلامية : ص ٨ ، ص ٩ .
 (١٥) الأنعام (١٢٨) .
 (١٦) البحر المحيط (ج٢ ص ٢٢٩) .
 (١٧) البحر المحيط ج٢ ص ٢٢٩ و ص ٢٢٥ .
 (١٨) القراءات واللهجات : عبد الوهاب عبودة ص ١٨٣ .
 (١٩) التوبة / ١١٤ .
 (٢٠) مذاهب التفسير الإسلامي .
 (٢١) البقرة ٢ .
 (٢٢) التصحيف والتخريف للمسكوي ص ٩ .
 (٢٣) التصحيف والتخريف ص ٩ .
 (٢٤) هامش مذاهب التفسير الإسلامي ص ٨ .
 (٢٥) نفس المرجع والصفحة .
 (٢٦) نزهة الألباب لابن الأنباري ص ١٢ .
 (٢٧) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٢٢٨ .
 (٢٨) المرجع نفسه والصفحة .
 (٢٩) الزينة للرازي ص ١١٧ .
 (٣٠) أعجاز القرآن للرافعي ص ٧٥ .
 (٣١) القاموس المحيط في المادة نفسها .
 (٣٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٥ .



في الفلبين

اعداد : ادارة الشؤون الاسلامية

مقدمة جغرافية :

- أ - تقع جزر الفلبين في الشرق الأقصى من آسيا ، يحدها المحيط الهادي شرقا ، وبحر الصين غربا ، وغورموزا شمالا ، وسيليبس جنوبا .
- ب - تبلغ مساحتها ١١٥٦٠٠ ميل مربع .
- ج - يبلغ عدد سكان الفلبين حسب آخر الإحصائيات (٣٧) مليونا منهم أربعة ملايين مسلم .

العرب الذين حملوا معهم الدعوة الإسلامية الى هذه البلاد ، وكان أشهر هؤلاء الرحالة وأكثرهم تأثيرا الشريف اسحاق بن شريف أولياء المخزومي . ولم يمض وقت كبير

دخول الاسلام الى الفلبين

لحة تاريخية :

كان دخول الاسلام الى الفلبين عام ١٣٨٠ م عن طريق الرحالة

كانت واحدة ، فتأمين المصالح الاقتصادية والسياسية ليست هي الاهداف الوحيدة بل هناك اهداف اخرى وهي التبشير وحمل الناس على الدخول في النصرانية ، ولقد مشى التبشير مع الاستعمار جنبا الى جنب في كل زمان ومكان كالتوأمين او كالظل يمشي مع صاحبه ، وكثيرا ما كان التبشير من اهم الوسائل الاستعمارية ، وهذا ما يفسر لنا الاهتمام البالغ والاموال الطائلة التي تبذلها الدول الاستعمارية لتغذية البعثات التبشيرية في كل مكان .

ورغم طول المدة التي قضاها المستعمرون الاسبانويون في الفلبين فان الاهالي لم يتعودوا على الخنوع وخاصة المسلمين ، فقامت الثورات ضد الاستعمار الامريكي الجديد واستبسل المسلمون في مكافحة الامريكيين ولما ادرك الامريكيون ان القوة لا تجدي مع المسلمين بل تزيدهم استبسالاً وتضامناً واندهاماً للاستشهاد غيروا اساليبهم واخذوا باستمالة المسلمين واعطائهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ونسبوا من الحرية في حياتهم العامة للتخفيف من نفقتهم ومقاومتهم .

النشاط الاسلامي بعد الاستقلال :

وبعد ان نالت الفلبين استقلالها عام ١٩٤٦ م نشط المسلمون للنهوض بانفسهم ولنشر الدعوة الاسلامية في انحاء البلاد ، فقامت جماعات من المسلمين بتأسيس الجمعيات والمعاهد والمدارس الاسلامية ، واشهر هذه الجمعيات (جمعية اقامة الاسلام) التي تأسست عام ١٩٥٥ في مدينة مراوي وتعمل

هذه الجمعية على نشر الاسلام والاهتمام بأمر المسلمين وتتلخص اهدافها بما يلي : -

١ - القيام بتعليم اللغة العربية ليستطيع مسلمو الفلبين فهم معاني القرآن الكريم والاحاديث الشريفة ولتصبح اللغة العربية لغة التفاهم بين مسلمي الفلبين .

٢ - السعي لتوحيد كلمة المسلمين في الفلبين ليتكاتفوا من القيام بدورهم لخدمة الاسلام واعادة مجده الفلبر .

٣ - القيام بتبليغ الدعوة الاسلامية في الشرق الاقصى عامة وفي جزر الفلبين خاصة وشرح مبادئ الاسلام والرد على مفترقات اعدائه من المبشرين الصليبيين المنتشرين في جميع انحاء الفلبين . وقد قامت هذه الجمعية باتخاذ الوسائل التي تمكنها من تحقيق اغراضها وتتلخص هذه الوسائل وما قامت به الجمعية بما يلي :

١ - تأسيس المعاهد والمدارس في المدن والقرى .

٢ - اصدار مجلة اسلامية باللغة المحلية وباللغة العربية والانجليزية .

٣ - ارسال الوعاظ والدعاة الى المساجد والجمعيات العامة والى المناطق المسلمة وغير المسلمة .

٤ - تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم الخفيف في المدارس التابعة للحكومة .

٥ - انشاء مكتبات اسلامية مزودة بالكتب الاسلامية والعربية والثقافية .

٦ - القاء المحاضرات الاسلامية ونشر تعاليم الاسلام عن طريق الاذاعة في بعض المناسبات .

والجدير بالذكر ان مجلس جمعية اقامة الاسلام استطاع بفضل الله



بني المجمع الاسلامي في مدينة ماراوى

ومدة كل مرحلة /٤ سنوات وتعطى للطلاب الناجح في نهاية كل مرحلة شهادة بذلك ، وقد تخرج من هذا المعهد عدد كبير من الطلاب والطالبات وأرسل بعضهم في بعثة علمية الى الدول الاسلامية العربية مثل المملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية الليبية والجمهورية التونسية والجمهورية السودانية ليتقنوا في هذه البلاد تعلم اللغة العربية والدين الاسلامي ، ويتم ايفاد هؤلاء الطلاب بمنح دراسية ، ويعمل بعض خريجي هذا المعهد بالتدريس في المدارس الاسلامية المنتشرة في المدن والقرى المختلفة في أنحاء الفلبين ، وللمعهد مكتبة كبيرة مزودة بأنواع الكتب المدرسية والمراجع والنشرات التي

تعالى أن يجمع شمل أربع وعشرين جمعية اسلامية في الفلبين ويوحد بينهم في منظمة واحدة اتفقوا على تسميتها بـ (اتحاد الجمعيات الاسلامية بالفلبين) ..

وقد كان لكل جمعية من هذه الجمعيات مدرسة أو مدرستين فأكثر وكلها تعنى بتعليم اللغة العربية والدين الاسلامي ، واما جمعية اقامة الاسلام فلها ما يزيد على مئة مدرسة ابتدائية وتحضيرية لقراءة القرآن الكريم ومدارس اعدادية وثانوية الى جانب معهد ميندانو العربى ، ويعتبر هذا المعهد اكبر معهد من المعاهد الاسلامية في الفلبين وجعلته الجمعية مركزا لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامي ، وتدرج الدراسة فيه على ثلاث مراحل : ابتدائية واعدادية وثانوية



مسجد تولاي - في صولو - الفلبين -

الآخيرة جماعة نصر الإسلام يرأسها الأستاذ أحمد الونتو ولها صحيفة ناطقة بلسانها تدافع عن قضايا الإسلام والمسلمين .

أوضاع المسلمين العامة في الفلبين

يتمتع المسلمون في الفلبين بقسط لا بأس به من الحرية ، فمن الناحية الدينية فإن الحكومة لادينية وتترك لاتباع الديانات المختلفة الحرية في ممارسة الشعائر والتعبير عن معتقداتهم ولا تمنع من أي نشاط ديني سلمي ، ولكل اتباع دين من الديانات الحق في الدعوة لدينهم بما لا يتعارض

تصل إليها كهدية من الدول العربية والإسلامية وبعضها من مشتريات الجمعية وتسمى المكتبة بـ « دار الكتب المينداناوية » .

ولكن المشكلة التي تعترض مشاريع الجمعية هي عجزها عن تمويل مشاريعها الواسعة تمويلًا كاملاً للنهوض بالمهمات التي تضطلع بها وهي بحاجة ماسة إلى مساعدات مادية لسد هذا العجز القائم ، وهناك جمعيات إسلامية أخرى في الفلبين أهمها جمعية المهتدين إلى الإسلام ، كما أن فيها نواة جامعة إسلامية تتألف من خمس كليات ويبلغ عدد طلابها حوالي أربعة آلاف طالب وطالبة وقد تأسست في الأونسة

مع القوانين الرسمية وسلامة الأمن كما ان الحكومة لا تساعد أية مؤسسة دينية ولا أى دين من الايمان مساعدة مالية ، وقد سمحت الحكومة بتدريس الدين الاسلامى والدين المسيحى وغيرهما فى مدارسها الرسمية بحدود ثلاث حصص فى الاسبوع وفى مجال الحقوق السياسية والمدنية للمسلمين الحق والحرية فى ترشيح انفسهم لاي منصب من المناصب الانتخابية بشرط توفر الكفاءة لذلك المنصب وقد فاز اربعة من المسلمين بعضوية البرلمان كما تولى ثلاثة من المسلمين منصب محافظ فى عام ١٩٦٦ ويدير المسلمون شؤون مناطقهم التى يكترون فيها .

واهم مشكلات المسلمين فى الفلبين تتركز فى الفقر والجهل مما يؤثر فى انخفاض مستواهم العام من جميع النواحي ، وتعمل البعثات والمؤسسات التبشيرية الصليبية على زيادة هاتين المشكلتين وتساهم فى تعقيدهما بما تقوم به من حرب وتضييق على المسلمين فى كل المجالات ، وتستخدم لحربهم كافة الوسائل والاسباب مهيبا كان نوعها .

النشاط التبشيرى فى الفلبين :

تعتبر الفلبين المركز الاول للدعوة الصليبية فى الشرق الاقصى والمركز الثانى بعد الفاتيكان فى العالم المسيحى الصليبي ، اذ يوجد فيها عدد كبير جدا من المؤسسات والبعثات التبشيرية المسيحية وكلها

تتصرف بمبالغ كبيرة من الاموال تنفقها على تحقيق اهدافها الصليبية ومحاربة الاسلام واجتذاب ابناء المسلمين الى مدارسها الكثيرة وتبذل الجمعيات التبشيرية المسيحية فى الفلبين جهودا كبيرة جدا لتقصير ابناء البلاد وبث نشاطها بين المسلمين ، وقد قامت هذه الجمعيات بانشاء مدارس فى المناطق الاسلامية بلا استثناء مستفلة حماية الحكومة للحرية الدينية ، وقد تمكنت من اجتذاب عدد لا بأس به من ابناء المسلمين الى مدارسها بعد ان تمكنت بوسائلها من اغلاق ابواب المدارس الاخرى فى وجوهم او لعدم توفر هذه المدارس ، كما انشأت مؤسسات للتصنيف والترويض بفضل الاموال الطائلة التى ينفقها الفاتيكان والمنظمات الكاثوليكية كمنظمة نورثيدم التى استطاعت ان تحقق نجاحا كبيرا فى مقاطعات كوتاباتو وقامت بانشاء جامعة نورثيدم فى مدينة كوتاباتو وزودتها بمطبعة حديثة وتصدر نشرة باسم (صليب ميندناو صلو) وهى لا تدخر وسعا فى محاربة الاسلام وبث الدعاية المعادية له فى محاولة لتصير اكبر عدد ممكن من ابناء المسلمين وغير المسلمين .

خاتمة :

من كل هذا تتجلى حاجة المسلمين ومنظماتهم فى الفلبين الى العون المادى والمنوى ليتكفوا من الوقوف فى وجه الحملات التبشيرية ولحماية ابنائهم والحفاظ على عقيدتهم والتمكن من نشر الاسلام والدعوة له .

سورة الفاتحة

« ولا تنازعوا تختلسوا وتذهب بكم وأصبروا إن الله مع الصابرين » .
(صدق الله العظيم)

الفن

عن عامر بن سعد عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من الطائفة ، حتى إذا من بمسجد بنى معاوية ، دخل فركع فيه ركعتين ، وصلىنا معه ، ودعا ربه طويلا ، ثم انصرف إلينا ، فقال : « سألت ربي ثلاثا ، فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة » :

سألت ربي ألا يهلك أمي بالسنة (التحط) فاعطانيها ..
وسألتني ألا يهلك أمي بالفرق فاعطانيها ..
وسألتني ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ..

« رواد مسلم »

من أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدرى القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قتل » . نقول : كيف يكون ذلك ؟ قال : « المرج ، القتاتل والمقتول في النار » .

« رواد مسلم »

الصمصامة :
حدثني جابر بن الخطاب عن عكرمة بن
مخزوم أن أبا بكر بن عبد الله بن
المخزومي بالصمصامة ، سمعته يقول :
« لما ضرب به رعد في يوم ما كان عليه
منه ، فكتب إليه في ذلك ، فزد
عليه : أنا بعت إلى أمير المؤمنين
بالسيف ، ولم أبعث إليه بالسهم
الذي يشرب به » .

العصا .. العصا
دخل خطاب قايه ، ومعه حديد
فأمر بعتب به ، فبما رأت ذلك
شجرة صغيرة بكت ، فقالت لها شجرة
كبيرة : ما يبكيك ؟ قالت : أما ترى
حديد الناس بيد الخطاب ؟ فقالت
لها : إن الناس لا تطع إلا بمصا منا
نحن الشجر

البطن والمزهر !!

قال ابو طالب المكي : مثل البطن
مثل المزهر - وهو العود المجوف ذو
الاورار - انما حسن صوته لخفته
ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ .
فكذلك الجسوف اذا خلا كان اعذب
للتلاوة وادوم للقيام ، واقل للنيام .

زاد السفر

عن الاحنف بن قيس انه قيل له :
انك شيخ كبير ، وان الصيام
بضعك . فقال اني اعد له لسفر
طويل ، والصبر على طاعة الله
سبحانه وتعالى اروع من الصبر على
هذابه .

الامام الزهري

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ما حديث يعدتنا به اهل الشام ؟ قال
يحدثونا ان الله اذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ، ولم يكتب عليه السيئات .
قال : باطل يا امير المؤمنين . انبي خليفة اكرم على الله ام خليفة غير نبي ؟
قال : بل نبي خليفة .
قال : فان الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فهاكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم
عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .
فهذا وعيد يا امير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبي ؟
قال : ان الناس ليفوتونا عن ديننا ..

وصية للجيشي

كان ممر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند مقت الاولية : باسم الله ، وبالله ، وعلى
ممن الله ، اخسوا بتأييد الله والنصر ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر
بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المتدينين ، ولا تجنثوا عند اللعناء ، ولا تملثوا عند القدرة ،
ولا تصرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا رهبا ، ولا ابراة ، ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى
الزحفان ، وعند حبة النهضات ، وفي شن الفارات .

رؤية هلال رمضان

كان القاضي ابو عبد الرحمن « عبد الله بن لهيعة » الذي ولى القضاء في مصر سنة
١٥٥ هجرية - ٧٧١ ميلادية اول قاضي خرج لرؤية هلال شهر رمضان .. فكان ذلك سنة ان جاء
بعده من القضاء .. فمهم يخرجون مع الناس الى (مسجد محمود) بسفح جبل المقطم لرؤية الهلال
وذلك في شهر رجب ، وشهر شعبان استعدادا وتهيدا لرؤية هلال رمضان .. وقد اعدت في
مكان مرتفع من المسجد مكة عرفت بركة القضاء حيث كانوا يجلسون عليها لرصد الهلال ، الى ان
بنى مكانها في مصر الفاطمي مسجد نصاروا يرصدونه من فوق مناراته .



المطالب العاليت بزوائد المسانيد الثمانية



تعريف وفقر لأستاذ : عبد الحميد محمد البسيوني

الكتاب : المطالب العاليت بزوائد المسانيد الثمانية .

الألف : العالط ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد المسكاني الأصل ، المصري المولود والنشأ والدار والوفاة . ولد بمصر سنة ٧٧٢ هـ ، وبها مات سنة ٨٥٢ هـ . قال عنه بترجوه : « شيخ الإسلام ، أمير المؤمنين في الحديث » .. « العالط الكبير » ، الإمام الفخر بمعرفة الحديث وعلمه في الأزمنة المتأخرة ، حتى صار أطلق (العالط) عليه كلمة أجماع » .

ويسعد مقالاتهم هذه ما بين أيدينا من تأليفه ، وأشهرها وأجلها كتابه « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » .

الحق : الشيخ هبيب الرحمن الأعظمي ، من كبار علماء الإسلام في الهند ، واحد الفضل في علوم الحديث والفقه ، كما يعرف من الكتب التي نشرت بتحقيقه ، كمسند العبيدي ، والزهد لابن المبارك ، وسنن مسند بن منصور وغيرها ..

ويكتب شهادة بعلوم فخره في من الحديث تجميعاته على الأستاذ المحدث الشيخ أحمد محمد شاكور في تحقيق مسند الإمام أحمد ، وقد نشرها له الشيخ أحمد — رحمه الله — في آخر أجزاءه ، ونلقاهم بالتقدير والثناء .

الناشر : إدارة الشؤون الإسلامية ، بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت .

تقديم :

لا توجد أمة لها سماتها المميزة ، إلا ولها أصول ثابتة تقوم عليها ، ومعاليم واضحة تنتهي إليها ، وشيأت لازمة تفرقها من غيرها ، وموازين ضابطة تحتمك لها .. وهذا كله جميعه لا يخلق في لحظة ، ولا يولد في ساعة ، ولا يصنع في المصانع ، أو يركب في المعامل ، بل هو مد تاريخي ينتقل موجه من جيل إلى جيل ، ويورثه الخلف للسلف .

وبقدر حيوية الأمة يرى فيها اثر تراثها .
وليست أمة من الأمم — بشهادة الحس والواقع — أغنى تراثا ، واثري
ماضيا من أمتنا العربية المسلمة ، في كل علم وفن ، ولم يعد انكار ذلك سائغا
عند عدو أو صديق ، قريب أو بعيد .

ولكن الحوادث الجسام ، والتدبيرات المكرة ، التي حلكتها الكثر ضد
الايمان على طول التاريخ ، منذ البعثة النبوية الى يوم الناس هذا ، والتي ما
زالت تدبر ، جعلت لونا في بعض غترات تاريخنا يحول ، واستطاع الشيطان
أن يجذب اليه غريقا يكاد ينفذ من هذا التراث ، بله الجهل به والغربة عنه .
فمن خير الأعمال ، ولا ريب ، اذا نحن أردنا حياة حقيقية — أن نعود
نفترع على ذواتنا ، ونستجد ما حال من الواننا ، ونسترد ما ضاع من معارف
وجوهنا وقسماتنا ، وذلك بصحة النسب الى تراث هذه الأمة ، ويحد الله ،
كما هو منظور معروف ، قامت في الزمن الأخير حركة احياء جيدة للتراث الفكري
والعلمي ، قضي لها في أول الأمر أفراد وأعوان مخلصون ، ثم مع حركة الأحياء
التي عمت الأمة بدات الدول العربية : مصر وبلاد الشام والجزيرة . . تتبنى
حركة الأحياء هذه وتنتشر من تراثنا ما لم يكن في قدرة الأفراد وحدهم القيام به .
والكويت — احدى لبنات أمتنا الكبرى — تحمل من ذلك نصيبها ، وتؤدي للأمة
حقا عليها — تقوم اليوم بقسمها في حركة الأحياء . ومن الأجهزة العاملة في
هذا المجال ادارة الشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، وانه
لعمل جيد مشكور أن تخص ادارة الشؤون الإسلامية في هذه الوزارة بجهدا
كتب القرآن والسنة ، فهي في كلمة واحدة « الدين » الذي ندين به « هو الذي
بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ،
والحكمة السنة ، كما صرح بذلك العالمون ومنهم الإمام الشافعي رحمه الله .
وهذا الكتاب (المطالب العالية) هو كتابها الرابع ، تخرج به على العالم
الإسلامي « وقد اختير كسابقه الثالث (مختصر صحيح مسلم) من رياض السنة
المطهرة ، بعد كتابين سلفا يتصلان بنور القرآن المجيد » كما جاء في كلمة معالي
وزير الأوقاف في تقديمه للكتاب .

موضوع الكتاب :

أما موضوع الكتاب ففتحناج معرفته الى لحة سريعة عن دواوين السنة
وطريقة جمعها . فهي باعتبار طريقة جمعها نوعان :

١ - المسانيد :

واعتبار التوثيق فيها هو الصحابي الذي روى عنه الحديث ، بمعنى أن
يذكر المؤلف اسم الصحابي ويذكر تحته الأحاديث التي ارتضاها مما تجمع لديه
من رواية هذا الصحابي ، مهما كانت درجتها من الصحة أو الحسن أو
الضعف ، ودون نظر الى موضوع الحديث ، ومن هذا النوع كثير ، كمسند
عبد بن حميد ، والدارمي ، وأبي يعلى ، والبزار ، وأبي داود الطيالسي ،
والحسن بن سفيان ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن موسى ، وغيرهم .
أكبر ما في أيدينا وأجله من هذه المسانيد هو مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٢ - الصحاح :

ثم تلا المسانيد كتب الصحاح ، وأول من اعتنى بجمعها أبو عبد الله محمد

ابن اسماعيل البخارى ، وتلاه صاحبه وتلميذه ابو الحسين مسلم بن الحجاج ،
فهما اصح كتب الحديث . ثم تبعهما بقية اصحاب السنن : ابو داود ، والترمذى
والنسائى . وابن ماجه ، وهى التى تعرف فى الاصطلاح بالكتب الستة .

وليس معنى هذا ان هؤلاء قد التزموا باخراج جميع ما يحكم بصحته من
الاحاديث « فان البخارى ومسلم - مثلاً - قد صححا احاديث ليست فى كتابيهما
كما ينقل الترمذى وغيره عن البخارى نصحيح احاديث ليست عنده ، بل فى السنن
وغيرها . ولذلك خرجت كتب كثيرة على الصحيحين (البخارى ومسلم) يؤخذ
منها زيادات مفيدة ، واسانيد جيدة ، كصحيح أبى عوانة ، وأبى بكر الاسماعيلى
والبرقائى ، وأبى نعيم الاصبهاتى ، وغيرهم . وكتب أخرى التزم فيها اصحابها
صحتها ، كابن خزيمة ، وابن حبان البستى . وكذلك يوجد فى مسند أحمد من
الاسانيد والمتون شيء كثير ، مما يوازى كثيرا من احاديث مسلم ، بل والبخارى
أيضا ، وليست عندهما ولا عند أحدهما ، بل ولم يخرججه احد من اصحاب
السنن ، كما يقول ابن كثير رحمه الله .

إذا عرف ذلك عرف موضوع كتاب (المطالب العالمة بزوائد المسانيد
الثمانية) فان الامام الحافظ ابن حجر أراد الامر أن يجمع على صعيد واحد
جميع ما وقف عليه من كتب السنة : مسانيد اصحابها ، ثم عدل عن ذلك -
كما يقول فى مقدمته - « الى جمع الاحاديث الزائدة على الكتب المشهورات ،
فى الكتب المسندات . وعنت بالمشهورات الاصول الستة ومسند أحمد ،
وبالمسندات ما رتب على مسانيد الصحابة . . وقد وقع منها ثمانية كاملات ،
وهى لأبى داود الطيالسى ، والحميدى ، وابن أبى عمر ، ومسند ، وأحمد ابن
منيع ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، والحاثر بن أبى أسامة . .
السخ » .

وليس معنى قوله : « الاحاديث الزائدة على الاصول الستة ومسند
أحمد » أن جملة ما فى (المطالب العالمة) ليس موجودا بنفسه أو معناه فى هذه
الكتب المذكورة ، بل قد يكون نص الحديث أو معناه مرويا عندهم ، ولكنه فى
هذه المسانيد الثمانية التى يذكر ابن حجر الزوائد فيها مروي بسند آخر ، أو
عن صحابى غير الذى روى عنه فى هذه الكتب . ولذلك أزال ابن حجر هذا
الوهم الذى قد يعطيه العنوان بقوله فى ختام « مقدمته للمطالب : « وشرطى
فيه ذكر كل حديث ورد عن صحابى لم تخرجه الاصول السبعة من حديثه ، وأر
أخرجوه - أو بعضهم - من حديث غيره ، مع التنبيه عليه أحيانا .
ولهذا أهمية سيقف القارئ عليها بعد .

أما كيف رتب ابن حجر هذه الاحاديث الزوائد ، فهو يقول فى مقدمته :
« ورتبته على أبواب الاحكام الفقهية ، ثم فكرت بدء الخلق ، والايمان ، والعلم
والسنة ، والتفسير ، وأخبار الانبياء ، والمناقب ، والسيرة النبوية ، والمغازى ،
والخلفاء ، والآداب ، والأدعية ، والزهد ، والرقائق ، والفن ، والتعبير ،
والبيع والنشر » .

أهمية الكتاب :

يقول المحقق فى مقدمته (كتاب المطالب العالمة) اغنى ما ألف من كتب
السنة ثروة ، وأغزرها فائدة ، لاحتوائه على زوائد تلك المسانيد الثمانية تماما ،
وعلى شيء كثير من زوائد مسندين آخرين ، ولجمعه فى مكان واحد على

الترتيب الفقهي ما كان مبدداً في ثمانية أمكنة ، بل عشرة ، من غير مراعاة لهذا الترتيب ، ولاشماله في كثير من المواضع على بيان درجة الحديث ، من صحة وضعف ، واتصال وانقطاع ..

» وقد ازدادت قيمته العلمية في عصرنا ، لأن أكثر الكتب الأصول التي انتقيت فيه زوائدها قد دخلت في خبر كان ، وعسى أن يكون عبثت به يد الحدثان . فلما امتنعت الافادة منها لمعوزها ، أوجبت الظروف أن يشتد الحرص على الاحتفاظ بهذا السفر الجليل ، لأنه يسد مسد تلك الأصول فيما تنفرد به .

مخطوطات الكتاب :

يؤخذ من مقدمة المحقق أن للكتاب مخطوطات ثلاثا :

١ - الأولى مسندة ، أي يذكر الحديث فيها بسنده ، تقع في ٨٤ ورقة (١٦٨ صفحة) وعدد مسطور الصفحة ٦٩ ، والمسطور متدانية ، والخط دقيق جدا ، وقد وقع الفراغ من نسخها على يد ملا محمد بن ملا محمد فريد بن ملا محمد عثمان السليمانى الأفغانى في جبادى الآخرة سنة ١١١٠ هـ ، وقد وصفها المحقق بأنها مملوءة بالأغلاط والتصحيفات والتحريفات ..

٢ - والثانية نسخة مجردة من الأسانيد ، تقع في ٢٥٧ ورقة (٥١٤ صفحة) عدد مسطور الصفحة ٢٩ بخط دقيق ، كتب في عام ١١١٢ ، نسخها أحمد بن عبد القادر الرغافى المكي ، ويرجح المحقق أنه هو الذى تولى تجريد النسخة من الأسانيد .

٣ - والنسخة الثالثة تشمل النصف الأول من الكتاب ، وتوجد في المكتبة السعيدية (بحيدر آباد - الهند) ، وقال عنها المحقق : « وهى رغم كونها ناقصة ، أحسن خط من نسخة تركيا ، وأجود من حيث الصحة ، وأقدم عهدا ، فانها كتبت سنة ٨٧٥ هـ . أى بعد وفاة المؤلف بثلاث وعشرين سنة فقط » .

منهج التحقيق :

أما جهد المحقق ، ومنهجه في التحقيق ، فقد أبان عنه في مقدمته بياناً مفصلاً ، في الصفحات (ر ، ش ، ت) ، وكان أهم ذلك :

١ - ترقيم الأحاديث بالارتقام المتسلسلة (ليسهل العزو الآن وفيما إذا تكرر الطبع) كما يقول .

٢ - مقابلة النسخة المجردة على النسخة المسندة ، وإثبات المخايرات بينهما ، والحاق ما حذفه المجرد أو أخل باختصاره من كلام ابن حجر .

٣ - مقارنة الكتاب بكتاب آخر مشابه (للبطالب) من تاليف البوصيرى أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل المتوفى سنة ٨٤٠ هـ .

٤ - بيان درجات الأحاديث من كلام ابن حجر والبوصيرى والهيثمى في كتابه (مجمع الزوائد) ، والتنبيه عليه - أحيانا - أن لم يكن لهؤلاء أو غيرهم كلام فيه .

٥ - عزو كل حديث أو أثر إلى مصنف آخر .

٦ - تعقب المؤلف إذا أورد حديثاً ليس على شرطه ، بأن يكون في شيء من الأصول السبعة ، والتنبيه على ذلك .

٧ - قال المحقق علقت على الكتاب « تعليقات وجيزة ، فسررت فيها غريبه ، وأوضحت غامضه » .

وهذا منهج — كما يرى القارىء — فيه جهد جاهد ، ومشقة شاقة .
ويكفى أن ننظر إلى نموذج النسخة المسندة المصدر في مقدمة الكتاب ، وتري
دقة الخط وصعوبته لنصدق ما قال المحقق من أنه : (لا يستطيع قراءتها الا
الأغذاذ .. ورغم ذلك فقد تجلجت وتصبرت لقراءتها والإفادة منها) . زد على
ذلك ما التزم به المحقق من عزو كل حديث إلى مصنف آخر سوى من عزاه إليه
ابن حجر ، وما تعقبه به من التنبيه على الأحاديث التي ليست على شرطه ..
وهذا يحتاج إلى تهرس بهذه الكتب واع ، وصبر طويل في الحركة خلالها ،
فربما استنفد الحديث الواحد أياما وأسابيع حتى يعود الباحث بما أراد ، أو
ربما بلا شيء .

وثمة فائدة جليلة حظي بها كتاب المطالب من المحقق ، وجناها القراء ،
إذ أضاف المحقق إليه فوائد وزیادات من كتاب مخطوط ليس في أيدي الناس ،
هو كتاب البوصيرى المشار إليه .

وقد قرأت الكتاب مستقيداً منه ، متعلما من محققه ، ولكن غنت لى ملاحظات
أضفها بين يدي المحقق أولا ، والقارىء ثانيا ، وعسى أن أكون مصيبا فيقسم
لكتاب من كتب السنة بعض ما ينبغي له من الضبط ، وإن كانت الأخرى فهو
جديد اتعلمه ، وحق أرجع إليه .

وهذه الملاحظات منها ما يتعلق بمنهج التحقيق وأصوله المتعارف عليها ،
وأخص منها ما لم يلتزم المحقق فيه نهجه الذي ارتضاه وأبان عنه في مقدمته ،
وأختصرناه آنفا . ومنها أقامة تحريفات وتصحيحات لم ينتبه لها ، ومنها تصويبات
لشروح خاطئة ، ومنها ما نراه يضيف فائدة للكتاب ، ثم أخطاء الضبط والطبع .
فأول ذلك عدول المحقق عن النسخة المسندة ، والأسناد — كما هو
معروف — من أهم الضوابط لمعرفة درجة الحديث . ولا حجة في قول المحقق :
« أن نشر المسندة لا يغنى عن نشر الكتب المجموعة فيها كل على حدة » ، بل هو
حجة عليه ، فقد قال قبل ذلك وهو يبين أهمية كتاب المطالب . أن « أكثر الأصول
التي انتقلت فيه زوائدها قد دخل في خبر كان ، وعسى أن يكون عبث به يد
الحدثان » .

ولا حجة أيضا بقارىء هذا الزمان ودعوى التسهيل عليه ، فقارىء هذا
الزمان ، وذاك الزمان أيضا ، يستطيع أن يجرى بعينه على السطر الذي يحوى
الاسناد ، ويصل إلى نص الحديث ، إذا كان ذلك همه !
زد على هذا أن أهمل السند في هذا الكتاب يضع قارئه أحيانا كثيرة أمام
كلام لا يفهمه ، لأنه يتحدث عن شيء غير موجود ...

ومن أمثلة ذلك ما جاء في التعليق رقم ٥ ص ٨٤ : « في المسندة : هذا
المتن رواه أحمد وغيره من طريق عمرو بن عيسى ، وهذه الطريق شهادة لتلك
الا أن فيه انقطاعا ، لأن عوناً لم يدرك عبد الله . » ويبحث القارىء أمامه عن
عون هذا المتحدث عنه فلا يجده .

وأوضح من ذلك ، ما جاء تعليقا على الحديث رقم ١٠٠٩ ص ٢٩٤ من قول
ابن حجر (قلت : هذا اسناد مقلوب ، ومتن مقلوب ، أما الاسناد فالصواب
حرمة بن إياس كذا أخرجه أحمد وغيره .. ») .

ولا وجود أمامنا في الكتاب لشيء نفهم منه كيف كان السند مقلوبا ، أو يهدينا
لمعرفة ما يتحدث عنه ابن حجر من شأن حرمة بن إياس أو سواه .
وأشد وضوحا من هذين المثالين ما قاله ابن حجر تعقيبا على الحديث رقم

١٢٦٥ ص ٣٧٥ : « قلت : يحيى وشيخه ضعيفان جدا ، وهذا الإسناد خطأ لهما ، رواه زياد بن أبي سودة ، عن أخيه ، عن عثمان (كذا) ، عن ميمونة وليست زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فخطب يحيى أو عمرو فى أسناده . » وليس من هذه الأسماء كلها — عدا ميمونة — اسم واحد مذكور أمامنا لنفهم قضية ابن حجر ما هى .

ومثال رابع ، الحديث رقم ٢٧١ ص ٧٧ ، نصه « وقال البزار : حدثنا القاسم بن محمد ، حدثنا عبد الله بن داود بسنده ، ولم يشك ، ولفظه .. » . هذه الجملة المعترضة (ولم يشك) تشي بأن غيره من الرواة شك .. نلو قد نشر اسناد الحديث السابق لربما عرفنا لهذه العبارة معنى .

وأمثلة ذلك كثيرة ، نجتزئ منها بهذه الأربعة ، وأحسبها — مع ما تقدمها من اسباب — كافية لبيان ضرورة نشر النسخة المسندة . وكان من نهج المحقق (اتخاذ امانة طباعية يعرف منها لأول نظرة الحديث الموثق رجاله ، أو المصحح اسناده وهى عبارة عن هذه النجمة الصغيرة (※) توضح قبل رقم الحديث المتحقق فيه ذلك ..)

وهذا عمل مرضى ولا ريب ، يعين القارىء العجل ، والقارىء غير المتخصص على بلوغ غايته ، ولكن هذا ربما افضى الى مشكلة أو شبهة تترى بهذه الفائدة ، فمجموع أحاديث هذا الجزء ١٤٩١ ، اشير بالصحة منها على ١٤ حديثاً فقط . وقد يغرى هذا بعض من ساء فهمه وقتل علمه أن يظن أن هذا شأن الأحاديث ، لا يصح منها إلا أقل من الربع .. من أن المدار هنا على الأسانيد فقط ، بمعنى أن الحديث فى هذه الزوائد التى ينقلها ابن حجر قد يكون مروياً بسند مطول مع صحة المتن (نص الحديث) من طرق أخرى . فكننا نرجو من المحقق الفاضل ، وهو على ذلك قادر فيما نحسب ، أن يعلينا ذلك ويرشدنا اليه ، بل أن هذا من تمام العمل ، فابن حجر مؤلف الكتاب يقول : « وشرطى فيه ذكر كل حديث ورد عن صحابى لم يخرج من الأصول السبعة من حديثه ، ولو أخرجه أو بعضهم من حديث غيره ، مع التنبيه عليه أحياناً .. » فكان حق العمل أن يتم المحقق بقية الأحيان .. » والأحاديث التى هذا شأنها كثيرة جداً فى هذا الجزء ، ونجتزئ أيضاً بعض الأمثلة دون الاستقصاء ..

١ — الحديث رقم ٢٦ ، عرى من علامة الصحة ، وضعفه الهيثمى ، ونصه : « أم سلمة : ماتت لنا شاة كنا نحلبها ، فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ما فعلت شاتكم ؟ قالت قلت : ماتت فالتقيناها . قال : ألا كنتم تتفتعون بأهليها ؟ قالت فقيل : يا رسول الله انها ميتة ! قال : ان دبغها أحلها كما أحل الخمر الخل .. » .

أقول : لهذا الحديث شاهد فى صحيح مسلم عن ابن عباس ، وأن الشاة تصدق بها على مولاة لميمونة . انظر مسلم (يشرح النووي) ٥١/٤ ، ٥٢ (كتاب الحيض ، باب طهارة جلود الميتة) ، وسنن أبى داود (تحقيق يحيى الدين) ٩٢ ، ٩٣ (كتاب اللباس ، باب فى أحب الميتة) ، وانظر الترمذى (تحفة الأحوذى) ٤٤/٣ وما قاله بعده ، وقد خلا حديث ابن عباس من هذه الزيادة (ان دبغها أحلها ..) .

٢ — الحديث رقم ٢٠٥ عرى أيضاً من علامة الصحة ، مع أن منته مروي عن أبى سعيد الخدرى فى البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد . انظر مثلاً مسلم : ٧٣/٤ .

٣ - الحديث ٢٧٦ عرى من علامة الصحة ، وحكم البوصيري بضعفه ، ولقته شاهد في مسلم (١٤٢/٥ ، ١٤٣) وأبي داود (٤٠٦/٤) وغيرها .
أصف الى ذلك أن هذه النجمة المتخذة إشارة للصحة قد اختلف موضعها في بعض الأحيان فقد وضعت أحيانا مع أن في التعليق ما يناقض ذلك ، انظر الحديث رقم ١٤٢ ص ٤٢ ، قال المحقق معلقا عليه : (فيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف) ومع ذلك فهو مصدر بنجة الصحة !!

* * *

وكان من منهج التحقيق الذي أبان عنه المحقق في مقدمته ترقيم الأحاديث بأرقام متسلسلة (للاستعانة بها في العزو الآن ، وفيها إذا تكرر الطبع) .
وليت المحقق فعل ذلك حقا ، لأن العزو في الحقيقة يمثل نظرة كلية شاملة للكتاب ، أو هو ربط لأجزائه بعضها ببعض ، وفيه فوق ذلك فوائد جمة ، فقد يكمل موضع ناقص فيه من موضع آخر ، أو يتضح ما غبض في جزء منه من جزء آخر ، وهكذا ، خاصة في أمثال هذه الدواوين الطوال .
فهناك مواضع كثيرة ترك المحقق فيها العزو ، فكان ذلك مضيقا لفوائد يتم بها اخراج الكتاب على صورة مرضية . والأمثلة التالية تصدق ذلك :

١ - الحديث رقم ٢٤٧ ص ٧٠ جاء معزوا لأحمد بن منيع وحده ، وكان على المحقق أن يضيف اليه بين توسمين معقوفين ، كما يصنع أحيانا (وأبو بكر ابن أبي شيبة) ، لأن الحديث نفسه جاء في ص ٩٥ برقم ٢٤٢ منسوبا لهما .
٢ - ص ٣٣٣ قال ابن حجر تحت عنوان (باب) دخول مكة وغسلها :

« سيأتي حديث ابن أم مكتوم في السعي ، وفيه : حبذا مكة » .
لم يشر المحقق للحديث المذكور وهو رقم ١٢٣٢ ص ٣٦٥ .

٣ - وفي الصفحة نفسها ٣٣٣ جاء تحت عنوان (باب) جواز الغسل للمحرم : حديث عمر تقدم في باب الستر في الغسل من الطهارة .
ولم ينبه المحقق اليه ، وهو رقم ١٧٣ ص ٤٨ .

٤ - ص ٢٥٢ باب استحباب عدم الاستعانة في التصديق ، قال ابن حجر :
(حديث عائشة تقدم في أواخر أبواب الوضوء) .
ولم ينبه المحقق اليه ، وهو الحديث رقم ٩٦ ص ٣٠ .

٥ - قال ابن حجر بعد الحديث رقم ٩٨٢ ص ٢٨٨ : « .. الحديث ، وتقدم في الصلاة » ونبحث عن عنوان لكتاب الصلاة فلا نجد ، ونرجع للفهرس فنجد فيه (كتاب الصلاة ٦٢ - ١٣٦) أي أن العنوان ساقط من الأصل . فضلا عن الحيرة التي تثاب الغاريء وهو يبحث عن هذا الحديث فلا يجده . وقل مثل ذلك في الحديث رقم ١٠٥٧ ص ٣١٤ .

٦ - ولبيان فائدة العزو وضرورته في ضبط الكتاب ، أن ابن حجر قال بعد الحديث رقم ٥٤٠ « وحديث الحارث عن علي تقدم قريبا » .. ولم يرشدنا المحقق لرقم الحديث المقصود ، ولو فعل هو لوجد فائدة .. فالحديث الذي يشير اليه ابن حجر هو رقم ٥٢٧ ص ١٤٤ ، ولم ينسبه ابن حجر للحارث كما قال هنا ، بل نسبته لمسدد وأبي بكر بن أبي شيبة ، ألا تستحق هذه من المحقق التنبيه ؟! ألا أن يكون الحارث ليس مقصودا به الحارث بن أبي أسامة صاحب المسند بل قصد به ابن حجر أحد الرواة عن علي .

ومما هو قريب من قضية النظرة الشاملة للكتاب أمر فات المحقق التنبيه عليه :

سأنا نجد في ص ١٠٢ عنوان (باب فضل ملازمة المسجد) ثم نجد في ص ١٣٤ (باب فضل ملازمة المساجد) ، فما الفرق بين العنوانين ؟! كان هذا يقتضى من المحقق التنبيه على الأمل ، خاصة وأنه استجاز لنفسه التدخل في تبويب الأصل مراعاة لمناسبة الأحاديث أبوها .. (انظر ص ٥٣) . ونحن نوافق المحقق في هذا النهج ، إذ بين من مقدمة ابن حجر لكتابه هذا أنه مسودة ، وذلك إذ يقول ص ٤ : « ووقفت على قطع من عدة مسانيد .. فلم أكتب منها شيئاً ، لعل إذا بيضت هذا التصنيف أن أرجع فأنتبع ما فيها من فوائد » .

فإذا كان الأستاذ المحقق قد فعل ذلك ، فكان أولى به أن يلزم منهجه ماء واحدة .

ويدخل في ذلك الحديث رقم ١٤١١ ، فانه في كتاب البيوع ، باب الفصم ونصه عن الحكم بن الحارث السلمي : « وغزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أحدها من حنين ، فمكنت أسير في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخلت راحلتي ، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أضربها فقال : مه ! وزجرها فقامت » .

اليس المحقق معي في أن هذا الحديث لا توجد بينه وبين الترجمة (العنوان) أية صلة ، وأن مثل ذلك يستحق التنبيه على الأمل ، وأن حقه أن يكون في كتاب المغازي ، وهو أحد الموضوعات التي يصبها الكتاب كما جاء في المقدمة ؟!

أو أن الذي دعا ابن حجر إلى إيراد في هذا الباب هو ذكر الصحابي (الحكم بن الحارث السلمي) الذي روى عنه الحديث السابق لهذا ، فإن الحديث رقم ١٤١٠ من روايته رضي الله عنه . وكان من نهج المحقق كما أبان في مقدمته : « علق على الكتاب تعليقات وجيزة ، فسر فيها غريبه ، وأوضحت غامضه » . وهذا نهج لازم لمن ينشر كتاباً كهذا ، ويضع في اعتباره جبهة القراء في هذا الزمن الذين يحذف الأسناد من أجلهم .. ولكن هناك عشرات من الكلمات تركها المحقق على غرابتها وغموضها . وهك بعض الأمثلة :

١ - الحديث ٥٨٨ (قلنا : أو ما جمعت ؟ قال : لا ، حبسنا هذا الردغ) ، لم تشرح كلمة الردغ . قال في اللسان : الردغ والردغة والردمة بالهاء : الماء والطين والوحل الكثير . وانظر النهاية لابن الأثير .

٢ - الحديث ٧١٦ ، فيه : « إذا مت فأغسلوني .. وحنطوني واجهروني » .

الحنوط والحناط : طيب يخلط للبيت خاصة ، وقال ابن الأثير : هو ما يخلط من الطيب لأكلان الموتى وأجسامهم خاصة . ومعنى أجهروني : بفروني بالطيب .

٣ - الحديث ٧٢٠ « كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين أبيضين سحوليين » .

سحول : قرية من قرى اليمن ، يحمل منها ثياب قطن بيض ، تسمى السحولية بضم السين . كذا في اللسان ، وعليه فينبغي ضبط السين بالضم بدل الفتحة التي عليها .

٤ - الحديث ١٤٤١ « وليس لعرق ظالم حق » .
هو أن يجيء الرجل إلى أرض قد أحياء رجل قبله ، فيغرس فيها غرسا غصبا ، ليستوجب به الأرض .
ونسوق هذه الكلمات كنماذج فقط لهذا الغريب المتروك :
الحديث ٣٠ (أما إن الشراب كان في سقاء **منيفة** لنا ماتت) .
الحديث ١٨٩ (أن ابن عمر كان يدخل الحمام **فينوره** صاحب الحمام) .
الحديث ٤٢٣ (وخلفه أعرابي معه **نافض** له) .
الحديث ٧٣٩ (استهل الصبي) .
الحديث ٨٦٦ (سأل عمر رجلا عن ابله فذكر عجا **وقبرا**) (بفتح الدال والباء) .

الحديث (١٣٣٧) لا تلامسوا ، ولا تتناجشوا ، ولا يتبايعوا ببيع الغرر) وهذه الثلاثة مصطلحات فقهية ، ما أحوج القارئ للوقوف عليها .
ص ٤٠١ (باب المفجعة ٢٢)
وغير هذا كثيرا جدا ، ولولا خشية الإطالة لنقلت شرحها أجمع اثباتا للفائدة .

وهناك ملاحظات على بعض ما تناوله المحقق بالشرح فذكر منها :

١ - الحديث ٨٢٤ : وفي البيت سرير محبوبك بليف) .
قال المحقق في شرحها : (المحبوك : المحكم الصنعة) .
وهذا وإن كان صوابا لفة - غير مقصود هنا . فالمحبوك هنا : المسمود مربوط ، ومنه الحكمة (بضم فسكون) والحيك : الحبل يشد به على الوسط ، والقدة التي تضم الرأس إلى الغراضيف من القتب والرحل ، والتحيك : التوثيق فالمعنى أن أجزاء السرير مربوطة ومشدود بعضها إلى بعض بليف .. وهذا واضح جدا .

٢ - الحديث ١٣٧٧ : (أبو سعيد قال : حضرت جنازة فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وضعت سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أعليه دين ؟ قالوا : نعم . فعدل عنها وقال : صلوا على صاحبكم . فلما رآه على (قفى) قال : يا نبي الله ، برىء من دينه ، أنا ضامن لما عليه) .
رسمت كلمة (قفى) بالالف المحدودة ، وشرحها المحقق بقوله : (أى : تبع) وليس كذلك . قال في النهاية : (ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم (المقفى) هو المولى الذاهب ، ومنه الحديث (فلما قفى قال كذا وكذا) أى ذهب مولى ، وكانت من القفا ، أى أعطاه قتاه وظهره) .

وهذا واضح المعنى جدا ، بل مفهوم من قوله في الحديث (فعدل عنها) .
ونلاحظ أن المحقق لم يشر إلى المراجع التي تعين على ضبط النص وتوثيقه وتهدى إلى استكمال صورته .

وقد وقع ذلك من المحقق كثيرا عندما يأتي في نص كلام ابن حجر ، أو التعليقات التي ينقلها المحقق عن البوصيري والهيثمي وسواهما ، أن حديثا ما مخرج في الصحيحين مثلا ، أو كذا أو كذا من دواوين السنة المطبوعة .. فمن حق النص ، وهداية للقارئ - غير المتخصص على الأقل - أن يعرف موضع الحديث في الكتب المذكورة . بل أن المتخصص المشتغل أيضا بحاجة إلى توفير جهده ووقته في تقصى ذلك ومراجعته ، وتكني هذه الأمثلة للتدليل :
١ - الحديث ١٢٦٥ ص ٣٧٥ ، ونصه :

« أبو أمامة قال : قالت ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، افتنا في بيت المقدس ، قال : أرض الحشر والنشر . اتوه فصلوا فيه ، فان صلاة فيه كالف صلاة فيما سواه . قالت : يا رسول الله أرايت ان لم نطق محلا اليه ؟ قال : فتهدى له زيتا يسرج فيه ، من أهدى اليه شيئا كان كمن صلى فيه » (لأبي يعلى) .

ثم قال ابن حجر بعده (وسبق أن نقلناه لأمر غير هذا) :
« قلت : يحيى وشيخه ضعيفان جدا ، وهذا الإسناد خطأ لهما ، رواه زياد ابن أبي سودة ، عن أخيه ، عن عثمان عن ميمونة ، وليس زوج النبي صلى الله عليه وسلم . فخط يحيى أو عمرو في أسناده ، وهو عند أبي داود وابن ماجه على الصواب » .

لو قد رجع المؤلف لابن ماجه وأبى داود لوجد فوائد جمة .
فالحديث في ابن ماجه ٥١/١ برقم ١٤٠٧ (كتاب الأقامة ، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس) ، وسنده هكذا (حدثنا إسماعيل بن عبيد الله الرقي ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن زياد بن أبي سودة ، عن أخيه عثمان بن أبي سودة ، عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ..)

فصحة الاسناد كما ترى أن زياد بن أبي سودة يرويه عن أخيه عثمان ، وليس الأمر كما أثبت المحقق (زياد بن أبي سودة عن أخيه ، عن عثمان) .
وفي سنن أبي داود ١٨٢/١ (كتاب الصلاة ، باب في السرج في المساجد) جزء من هذا الحديث ، ونصه :

« .. عن زياد بن أبي سودة ، عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : افتنا في بيت المقدس ، فقال : اتوه فصلوا فيه — وكانت البلاد إذ ذاك حربا — فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا زيت يسرج في قناديله »
وأنت ترى أن اسناد ابن ماجه أتم وأصح من اسناد أبي داود ، فان أبى داود أسقط عثمان بن أبي سودة .

هذا ، وقد جاء هذا الحديث على الصواب في مسند الإمام أحمد في مسند ميمونة بنت سعد رضى الله عنها ، ولم يذكره ابن حجر ، انظر المسند ٦/٦٣٣ .
٢ — بعد الحديث ١٢١٧ قال ابن حجر : « قلت : أصله في الصحيحين بدون ذكر جابر ، وسببت أم سليم » .. لم يرشدنا المحقق الى موضعه في الصحيحين ..

ورواه البخاري في صحيحه (كتاب الحج ، باب اذا حاضت المرأة بعد ما اناضت) ، وانظر فتح الباري ففيه فوائد ، ورواه مسلم في كتاب الحج ٧٩/٩ . وفيهما أن الخلاف وقع بين ابن عباس وزيد بن ثابت .

٣ — الحديث ٥٤٩ ، قال ابن حجر بعده « قلت : أصله في السنن » .
أرشدنا المحقق للترمذي فقط ، والحديث في صحيح مسلم ٦/٦ ، وفي نيل الأوطار ١٧/٣ : « رواه الجماعة الا البخاري » .

٤ — قال المحقق تعليقا على الحديث رقم ٩٦ ص ٣٠ هامش (٣) : « قال البوصيري : رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وترك المحقق عزوه ، وهو في ابن ماجه ١٢٩/١ ، حديث رقم ٣٦٢ (كتاب الطهارة ، باب تغطية الإناء) .

٥ — وقال المحقق تعليقا على الحديث رقم ٩٧ ص ٣٠ هامش (٣) : « .. وقال ابن حجر والبوصيري : رواه ابن ماجه ، وليس في سماعنا » وأهمل

المحقق الهداية إليه ، وهو في ابن ماجه ١٨٢/١ حديث رقم ٥٥١ (كتاب الطهارة ، باب في مسح أعلى الخف وأسفله) .
وانظر الأحاديث : ٤٢٨ ، ١٠٠٩ ، ١١٧٤ ، وغيرها كثير .

هذه هي أهم ملاحظتنا على منهج التحقيق ، على ما هو مقرر بين العاملين في ميدانه ، وعلى ما قرر المحقق الالتزام به ، وبقيت ثلاث مسائل في هذا الشأن نتوء بها ، وان كنا لا نرى الزام المحقق بذلك :

الأولى : اعتذاره في المقدمة عن عدم الانتفاع بالنسخة الحيدر آبادية ، مع انها أقدم النسخ وأوضحها خطأ على ما قرر هو . ونرجو فيما يستقبل من أجزاء الكتاب ، وهي كثيرة فيما يبدو ، أن تكون موانع تصويرها قد زالت ، إذ هي - والله أعلم - نسخة أصيلة والرجوع إليها ضروري .

والثانية : أننا كنا نرجو من المحقق أن يتم لنا نصوص الأحاديث التي اخبرها ابن حجر - كلما أمكن - ولو في الهامش ، انماها للفائدة . والحق انه أرشدنا أحيانا الى مواضع بعض الأحاديث في الكتب الأخرى ، ولكن الغريب من ذلك أنه أحالنا أحيانا على كتاب البوصيري المخطوط .

الثالثة : الاستغناء عن كلمة (رحمه) التي يقحمها المجرّد بلا فائدة ، كما قرر هو في المقدمة .

والآن وقد انتهينا من قول كلمتنا في منهج التحقيق وتوابعه ، وما فسات المحقق منه ، أولم يهتد لصوابه من ذلك - ننظر في الكتاب من حيث قراءته وتقويم نصه على ما نراه من الصواب والضبط ان شاء الله تعالى .

١ - الحديث رقم ٥١٠ ص ١٤٠ : « ... أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة لأصلي بصلاته ، فافتتح الصلاة فقرأ قراءة سهلة ، ليست بالخفيفة ولا بالرقيقة ، قراءة حسنة سهل فيها .. »

كذا أثبتنا المحقق (ليست بالخفيفة ولا بالرقيقة) ووضح ان صواب الكلام (ليست بالخفيفة ولا بالرقيقة) إذ خفض الصوت - أي خفوته وخفاؤه - هو تقسيم رفاعته ، أي جهارته . (انظر اللسان : خفض ، رفع) .

٢ - الحديث ٢٢٧ ص ٦٤ : « ... فأنطلقت وأنا أقول : ليت بلالا لم تلده أمه ، وأبطل من نضح دم جبينه » . كذا كتبه المحقق مرسلًا ، وقول بلال هذا شعر ترنم به رضى الله عنه :

ليت بسلالا لم تلده أمه وأبطل من نضح دم جبينه
٣ - وجدت مثل هذا في الحديث رقم ٢٣٨ ص ٦٧ « كان عثمان إذا سمع الأذان قال : مرحبا بالقاتلين عدلا ، وبالصلاة مرحبا واهلا » .
هذا أيضا شعر ، وصواب كتابته :

مرحبا بالقاتلين عدلا وبالصلاة مرحبا واهلا
٤ - الحديث رقم ١٣٦٢ ص ٤٠٦ : وفيه أن عليا انتهى الى السوق : « .. ثم أتى صاحب التمر فاذا خادم تبكى ، فقال : ما شأنك ؟ باعنى هذا تمرا بدرهم (كذا !) فأبى مولاى أن يقبله ، فقال : خذه وأعطها درهمًا ، فأنها خادم ليس له أمر .. »

وقال عبد بن حميد : حدثنا محمد بن عبيد به مثله ، وزاد فيه بعد قوله وأعطاهم درهمًا .. الخ .

● فبين - أولا - أن صواب سياقة الحديث « فقال : ما شأنك ؟ قالت : باعنى هذا تمرا بدرهم » أي أنه سقطت منه كلمة قالت ، وعندما استدركها المحقق في آخر الكتاب جعل مكانها (قال) وهو خطأ أيضا .

٥ — الحديث رقم ٤٣ ص ١٧ : « ... انه رأى ابا هريرة بال قائما وعليه مودرتان » .

علق المحقق على كلمة (مودرتان) بقوله (كذا في الاصلين ، وفي الاتحاف موزجان ، هو الصواب عندى) .
وهذا الصواب الذى ارضاه غير مفهوم ، فكان يحسن ان يقول : الموزج هو الخف ، تعريب (موزه) بالفارسية .
على أن ما في الاصلين يحتل الصواب ، كأنها — والله اعلم — ثياب بلون الورد ، أو عليها صور الورد ، فقد قالوا : « ثوب مبرج » فيه صور البروج و « ثوب مصلب » فيه كالصليب ، و « ثوب ممرجل » فيه صور المراجيل و (مرجل) فيه صور الرجال .. وشواهد كثيرة جدا (انظر المخصص كتاب اللباس : ٦٦/٤) . وجاء في اللسان : « ورد الثوب : جعله وردا ، وتمييص مورد : صبغ على لون الورد ، وهو دون المخرج » .

٦ — الحديث رقم ١٠٨٦ ص ٣٢٤ : « ما من رجل يضع ثوبه وهو محرم فتصبيه الشمس حتى تقرب الا عزيت بخطايا » والصواب الذى يستوجبه نسق كلام العرب : « الا عزيت بخطايا » .

٧ — الحديث رقم ٨٨ ص ٢٧ « عليك باسباغ الوضوء ، يحبك حافظك ، ويزاد في عمرك » اختار المحقق الرفع في (يحبك) ، و (يزداد) ، وعلق عليه بقوله : « في الزوائد : يزداد ، وفي الاصلين « يزد » فانه مجزوم ، فان كان ما هنا صوابا فقول (يحبك) ايضا مجزوم » .
ولا داعى لهذا الاحتياط ، والذي في الاصلين صواب على ما تقتضى به قواعد النحو ، قال ابن هشام في القطر : (جوازم المضارع) : « اذا تقدم لنا لفظ دال على أمر أو نهي أو استفهام أو غير ذلك من أنواع الطلب ، وجاء بعده فعل مضارع مجرد من الفاء ، وقصد به الجزاء — فانه يكون مجزوما بذلك الطلب لما فيه من معنى الشرط » .

٨ — جاء في آخر التطبيق رقم ٥ ص ٥٥ : « .. وفي المسند : معمر (ابن ابي حبيبة الراوى عن عبيد بن رعاة) ، ابن معين ، وأصله في الصحيح بغير ضعفه هذا السياق » .
وهذا كلام غير مفهوم ، صوابه : « وفي المسند : معمر .. ضعفه ابن معين وأصله في الصحيح بغير هذا السياق » .

٩ — جاء في آخر التطبيق رقم ٢ ص ٤٣ : « .. قال وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ، قال عبد الملك بن شعيب بن الليث : وثقه مأمون ورفع من شأنه » . وهذا كلام مضطرب جدا ، صوابه : « .. قال عبد الملك بن شعيب : ثقة مأمون ، ورفع من شأنه » .

١٠ — الحديث رقم ٩٧٠ ص ٢٨٥ ، وأوله « الوليد بن بشر عن حصين بن ابي الحر .. » علق المحقق على (حصين) بقوله : « لم أقف على حالها » وواضح أشد الوضوح خطأ ما قال ، وعدم مناسبتها ، فهو ابن ابي الحر ، وليس بنت ابي الحر .

١١ — الحديث رقم ٣٧٢ ص ١٠٣ ، وفيه « .. أو عند مريض ، أو يتبع

جنازة . علق المحقق على كلمة (يثبع) بقولسه « كذا في كشف الاستسار والبوصيري ، وفي الأصلين يثبع » .

ولا جديد يضيفه التعليق ، غير حيرة القارئ لأن ما في الهامش هو عينه الذي في المتن ، ولعل إحدى الكلمتين (يثبع) والله أعلم) .
١٢ - الحديث رقم ٤٢٢ ص ١١٦ :

ورد هذا الحديث في الكتاب من زوائد أبي يعلى ، ومما تجدر الإشارة إليه أن الحافظ ابن كثير أثبتته في تفسيره أيضا من رواية أبي يعلى عند تفسير الآية « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » من سورة الحديد .

ورواه أيضا أبو داود في سننه ٣٨٠/٤ (كتاب الأدب ، باب الحد) .

وسأثبت هنا نص الحديث كما هو في الكتاب ، جاعلا الفروق التي في ابن

كثير وأبي داود في الهامش اتباعا للفتوة ، وتصويبا لما هنا .

« دخل سهل بن أبي أمامة هو وأبوه على أنس بن مالك (١) زمن (٢) عمر ابن عبد العزيز وهو أمير (٣) فصلي (٤) صلاة خفيفة (٥) كانها صلاة مسائر أو قريب (٦) منها ، فلما سلم قال (٧) : يرحمك الله ، أرايت هذه الصلاة ، المكتوبة أم شيء تفتلته ؟ قال : أنها المكتوبة ، وأنها لصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت منها (٨) الا شيئا سهوت عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا تشددوا على أنفسكم ، فإن قسوما (٩) تشددوا على أنفسهم تشدد عليهم ، فترك بقاياهم في الصوامع والديارات (١٠) » « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » أبو يعلى .

وراجع سنن أبي داود ففيه زيادة عما هنا .

كما أنه قد وردت في الكتاب كلمات كثيرة مضبوطة على غير الوجه ، ولعلها

ليست مسئولية المحقق بقدر ما هي مسئولية الطبع .

وبعد ، فلعلني أظلت حتى أظلمت ، ومسي أن يغفر لي العالمون من أرباب

من الحديث فنحن ما زلنا نلاميذ صغارا في هذا الميدان ، وقد وجدت الكثيرين من

أقراني وأبناء زماني متبنا ما بينهم وبين هذا العلم الشريف ، فمن أجل ذلك ، ومن

أجل أنه كتاب حديث ، استجرت لنفسى هذه الإطالة .

وأختتم بما استفتحت به ، أن ما قلت أنها هو وقتلت خنت لي ، وليس يزرى

بعمل المحقق ، أو يفضى من تيمة جهده الكبير ، نسأل الله له حسن المثوبة .

(١) في ابن كثير وأبي داود (دخلت على أنس بن مالك) .

(٢) في ابن كثير : (زمان عمر) ، وفي أبي داود : في زمان عمر .

(٣) في أبي داود : وهو أمير المدينة .

(٤) في ابن كثير : وهو صلى ، وفي أبي داود : فلما هو صلى .

(٥) في أبي داود (صلاة خفيفة دقيقة) وفي رواية ابن داسة له (صلاة خفيفة ، بالذال المعجمة وفافين ، أي خفيفة ، وجاءت الكلمة بحرفة في مطبوعة المطبعي لابن كثير (صلاة خفيفة وقمة) .

(٦) في ابن كثير وأبي داود (أو قريبا منها) .

(٧) في أبي داود : قال أبي .

(٨) في ابن كثير وأبي داود : (ما أخطأت الا شيئا) ، ليس فيها كلمة (شيئا) .

(٩) أثبت المحقق في المتن (كان قوما) ، وعلق عليه بقوله (كذا بالأصليين ، ولعل الصواب (فان

قوما) قلت وصوابه كما قال ، فهو كذلك في ابن كثير وأبي داود .

(١٠) في ابن كثير وأبي داود : الديار .

رُكْن الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

في هذا العدد سنقتصر من ركن الموسوعة على بريدها لأن لدينا تعليقاً يستغرقه .
بريد الموسوعة :

كان حمل البنا البريد ملاحظات انتقادية مطولة تقع في ٢٦ صفحة مطباع (ستانسل) من الأستاذ عبد القادر السبسي (من خطب) بعنوان : « أبحاث علمية حول الموسوعة الفقهية » تضمنت انتقاداته على موضوع الأثرية الذي هو أول موضوع صدر في الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة الفقهية . وكان الأستاذ قبل إرسالها إلى إدارة الموسوعة يزن وزعمها على مختلف الجهات والأشخاص في مختلف البلاد السورية وغيرها من البلاد العربية ، ثم نشرها تباعاً في مجلة « حضارة الإسلام » التي تصدر بدبشق ، وكان آخرها في العدد ٣ من السنة ١١ في جمادى الأولى سنة ١٣٩٠ هـ آب ١٩٧٠ م . ولدى الإطلاع على الملاحظات المذكورة تبين منها بوضوح أن الأستاذ الناقد قد كتبها وهو غير متصور غاية الموسوعة ومهمتها على حقيقتها ، فقد كتبها كما لو كانت الموسوعة مشروع قانون انتقيت مواد من مختلف المذاهب ليصدر بها قانون يبيح من الأثرية أشياء ويمنع أشياء . فهو يقول مثلاً : « وعليه يجب الأخذ بما قاله صاحب المحلى .. » (ص/١٦) ولذا قد ينسى أحياناً أنه أمام موضوع فقهي قسم الكلام فيه إلى فقرات بارتقام متسلسلة تميزاً لمقاطع الكلام وتسهيلاً للأحالة ، فيسمى فقرات الموضوع (مواد) فيقول تفيد هذه المادة كذا ، أو تقول المادة رقم كذا .. متصوراً أنه أمام مشروع قانون !! (ص/١٠ في الملاحظة/٢٠ و ص/١٢ في الملاحظة/٢٢ وغيرها) . — وقال أيضاً عما نقلته الموسوعة عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أقول إن هذا مذهب صحابي وهو لا يجب تقليده » (ص/١٦) مع أن الموسوعة لم تقل بوجوب تقليده وإنما عرضت ما نقل عنه عرضاً كفيرو ، وليس من مهمتها أن تقول بوجوب تقليد أحد .

— وفي الصفحة (١٧) من ملاحظاته قال الأستاذ الناقد : « على أنني أرى الاقتصار على ما رواه الإمام الدهلوي وما قال به الإمام محمد .. الخ » . — وقال في الصفحة (١٨) : « لذلك كان تمسك لجنة الموسوعة بهذا

الحديث الشريف ، تخصيص الخمر في هاتين الشجرتين النخلة والعنب وعدم تشميله لجميع أنواع الخمر مخالفا لما عليه جمهور الفقهاء .

هكذا يقول مع أن الموسوعة لم تتسك بحديث دون آخر ، ولا بتشميله أو قصره ولا يحق لها ولا تسوغ لنفسها ذلك . وإنما هي ناقلة أمينة تعرض مختلف الاجتهادات المعتبرة بترتيب موطنها ليس تسهلا للاطلاع ، ومنوع في نظامها وخطتها على كتاب موضوعاتها أن يدخلوا آراءهم واجتهاداتهم فيها . وإذا اقتضت الضرورة العلمية تدخل الكاتب برأيه لايضاح غامض ، أو حل مشكل من النقول ، فلا يكون ذلك في متن الموضوع بل في الحاشية مبينا أنه من كلام الكاتب أو من إدارة الموسوعة ، تمييزا له عن الفقه المتقول . وهذا كله معلن في بيانات الموسوعة عن خطتها .

ويتجلى من ملاحظات الأستاذ الناقد في محطات نقده كلها أنه دائبا في معرض بيان عقوبة شرب المسكرات ، وعند اختلاف الاجتهادات بين أخف وأشد ، يوجب على الموسوعة أن تتبنى الحكم الأشد وتقتصر عليه على أساس أنه هو حكم الشريعة لا غير . والدافع له إلى ذلك حرصه على مصلحة الزجر .

من أمثلة ذلك أن الموسوعة نقلت جواز أكل الخل الحاصل بتخليل الخمر عند الظاهرية وإن كان فعل تخليلها في نظرهم معصية للحديث الوارد في إراقتها وعدم تخليلها . فقد علق الأستاذ الناقد على ذلك في الملاحظة (٢٠) من انتقاداته بقوله : « أقول : يجب عدم الأخذ بهذه المسألة (كذا) ما دام أكله يسبب معصية الله تعالى .. » هذا يقطع النظر عن خطئه في فهم كلام ابن حزم ، فإنه لم يقل أن أكل الخل معصية ، بل فعل التخليل ، وميز صراحة بين هذا الفعل وبين جواز الأكل من الخل الحاصل به .

ونحن — مع تقديرنا لهذا الدافع الديني لدى الأستاذ الناقد في رغبته أن يؤخذ بالأشد الأضيق وينبذ الرأي الاجتهادي الأخف أو الأوسع — لا نستطيع أن نفير من واقع الاجتهادات ، ولا نملك حق حذف بعض منها وتبني بعض ، بعد أن تكون صادرة عن أهلها من أئمة الاجتهاد وكبار رجالات مذاهبهم . ولو قمنا بهذا التغيير لسقطت قيمة الموسوعة لدى أهل العلم ، إذ لا يبقى عملا مجعيا موسوعيا ، أو كما يقال بلفظ اليوم : (أكاديميا) .

في أمثال هذا النوع من الانتقادات نريد أن نقول للأستاذ الناقد : إن له الحق أن يقول هو بوجود الأخذ برأي ابن حزم أو فلان أو فلان من فقهاء السلف . وكذلك لو أريد مثلا وضع مشروع قانون اسلامي للعقوبات في بلد ما فلو اضعيه الحق أن يختاروا الحكم الأشد فيصوغوه مادة قانونية للتطبيق إذا رأوا المصلحة في ذلك . أما الموسوعة فليس هذا من شأنها وليس القائلون عليها هيئة تشريعية ، ولا موضوعاتها التي تصوغها وتعرضها مشروعات قوانين اسلامية تختار فيها من الاجتهادات في كل مسألة ما تراه أفضل دون مساواة بمقياسها الخاص فتلتزم به الناس ، وإنما الموسوعة كتاب أمين ينقل مختلف الاجتهادات المعتبرة في كل مسألة بمنتهى الدقة والأمانة والتجرد ، وبترتيب حديث تسهلا لمن يريدون الاطلاع على هذه الثروة النقية العظيمة .

هذا تعليق موجز جدا على إحدى الجهات التي يراها الناظر في انتقادات الأستاذ السبسي وملاحظاته . وهي ما يتعلق بخطأ تصويره لمهمة الموسوعة ، مع نماذج وأمثلة التطنهاها عرضا تعطى فكرة عن سواها !

ولكن في انتقاداته التي حملها الناقد ما يبعد بهذه الانتقادات عن
جادة الهدف العلمي !

فالمعروف في اصول النقد السليم العلمي المجرى ان يأتي الناقد بالنص
الذي يريد نقده فيعرضه بأمانة دون تصرف فيه ، ثم ينقده كما يشاء . وبذلك
يترك المجال للقارئ ان يحكم على بصيرة بين الناقد والمنقود . فليس كل ناقد
مصيبا !

غير ان الاستاذ السبسي قد تصرف في نقله لكلام الموسوعة في موضوع
الاشربة الذي ينقده . فهو تارة يلخص كلام الموسوعة تلخيصا غير صحيح
فيعرض للقارئ عنه خلاصة مشوهة وينقدها ! وتارة يقول إنه يستناد من كلام
الموسوعة في المكان الغلاني كذا وكذا ، ثم ينقده ، فيفرض على القارئ فهمه
هو للكلام المنقود دون عرض الاصل ، لكي يقبل نقده ولو كان خائلا ! وتارة
اخرى ينقل كلام الموسوعة في الموضوع على اساس انه ينقله بنفسه الحرص ،
ثم ينقده ، وهو في الواقع قد حذف من كلام الموسوعة ما لو اثبت له لستط
الانتقاد ، وذلك منه دون اى اشارة الى ان هناك شيئا محذوفا ، كوضع نقط
في محله ونحو ذلك .

ولنعرض الآن بعض امثلة من ذلك بطريقتنا في النقل الامين ، وهي امثلة
التقطناها عرضا ومثلها كثير .

(مثال اول) — قال الاستاذ الناقد في الملاحظة (٢٦) من انتقاداته
ما نصه بحروفه :

« الفقرة ٦٢ الى ٦٧ — تعيد هذه الفقرات ان كل شراب يتخذ من غير
الكرمة والنخلة هي مباحة .

اقول : ان هذا يفتح بابا للفسق والفجور وشرب الخمر على انها مباحة
في قول ابي حنيفة وابى يوسف . على انه يعينني في هذا الموضوع قول
العلامة السكبر الدهلوي رحمه الله ملخصه : « لما كان قليل الخمر يدعو الى
كثيره .. الخ » .

ونحن — بعد ان نعمل للقارئ الكريم القول بأن كلام العلامة الدهلوي
الذي أعجب به الاستاذ الناقد قد نقلته الموسوعة نفسها في الموضوع ولم يكن
من مكتشفاته — ننقل ما جاء تحت الفقرات (٦٢ حتى ٦٧) المشار اليها من
موضوع الاشربة ، ليرى القارئ كيف فهم منها الاستاذ الناقد انها تباع جميع
الخمر المتخذة من غير الكرم والنخلة ، وتفتح الباب للفسق والفجور . فقد
جاء في موضوع الاشربة ص (٢٨) تحت عنوان : « الفئة الثالثة — الاشربة
المختلف في كثيرها ، والراجح الحرمة مطلقا » ما يلي :

٦٢ — في هذه الفئة الاشربة المتخذة من غير العنب والنخيل ، فتشمل
نبيذ العسل أو التين أو البر أو الشمير أو الذرة ونحوها ، سواء طبخ أم
لا (ثم جاء في بقية هذه الفقرة تعريف النبيذ بمعناه المقصود وهو يختلف عن
الخمر كليا) .

٦٣ — وحكم كل شراب من اشربة هذه الفئة الثالثة في القول المرجوح من
مذهب الحنفية ، وهو المنقول عن ابي حنيفة وابى يوسف انه يحل شربه قليلا
كان أو كثيرا اذا شربه الشارب لغير التلوي والطرب ، بل لغرض مشروع
كالتداوي لدفع الالم ، أو اسباغة الطعام ، أو القوة على العمل واداء

الواجبات . فان كان الشرب بقصد اللهو والطرب يحرم قليلا وكثيره اجماعا . وكذلك يحرم من هذه الاشربة ما يعلم يقينا او بغالب الراى انه يسكره هو بذاته وان لم يؤثر فى غيره . . . وكلها حرم الشرب وجب العقاب لينزجر الفساق . . . واذا لم يجب الحد للشبهة وجبت عقوبة تعزيرية . وهذا هو رآى جمهور فقهاء العراق ايضا . غير ان الراى الراجح المفتى به هو قول محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، وهو تحريم القليل من هذه الاشربة . . ويحد من سكر منها كما سيأتى بيانه قريبا .

(ثم جاء فى الفقرتين ٦٤ و ٦٥ ذكر الأدلة الشرعية التى استدل بها الفريقان ، وختمت بأن رآى الامام محمد هو الصحيح المفتى به عند الحنفية ، وفكرت ادلته ، ثم فى الفقرة ٦٦ نظلت الموسوعة عبارة العلامة الدهلوى التى أعجب بها الاستاذ الناقد) .

٦٧ - رآى السلف والمذاهب فى المسكرات غير الضرر :

فكرنا ان الامام محمدا من اصحاب أبى حنيفة يرى ان كل مسكر حرام كالخمر ، سواء اكان قليلا أم كثيرا ، ولكنه لا يرى وجوب الحد على شاربيه الا فى حالة السكر فقط . وفى غير تلك الحالة فالمعتوبة هى التعزير . أما المذاهب السبعة الأخرى وأئمة السلف فانهم يوجبون مع هذه الحرمة الحد من القليل منها - كالخمر - ولو لم يسكر منه (ثم ذكر فى بقية هذه الفقرة (٦٧) من يقول بهذا القول من كبار الصحابة والتابعين فى التحريم المطلق للقليل والكثير من اشربة هذه الفئة الثالثة وهى فئة الأنيذة) .

هذا كل ما جاء تحت الفقرات (٦٢ حتى ٦٧) سوى ما لخصناه بين اتواس او وضعنا محله نقتل لعدم أى جدوى فى نقله حرفيا ويطول به الكلام ولا يحتله المقام .

فليحكم القارئ الكريم على فهم الناقد ان ما جاء فى هذه الفقرات يفيد حل كل شراب مسكر متخذ من غير الكرمة والنخلة ويفتح باب الفسق والنجور على مصراعيه !!

(مثال آخر) - فى الملاحظة ٢٦ ص (١٨) من انتقاداته قال الاستاذ الناقد ما نصه بحروفه :

« جاء فى الفقرة (٦٧) (أى من موضوع الاشربة الموسوعى) ان الامام يرى ان كل مسكر حرام كالخمر ولكن لا يرى وجوب الحد على شاربيه الا فى حالة السكر فقط . وأما المذاهب السبعة الأخرى وأئمة السلف فانهم يوجبون مع هذه الحرمة الحد فى القليل منها كالخمر ولو لم يسكر منه . . الخ » .

اقول : جاء فى القهستانى ج ٢ ص ١٨٧ ما نصه : (وحاصله ان شرب نبيذ الحبوب والصلوات بشرطه حلال عند الشيخين بلا نية لهو او طرب ، فلا يحد المسكران منه ولا يقع طلاقه ، وحرام عند محمد فيحد ويقع طلاقه وعليه الفتوى) . ويؤيده ما فى رد المختار ايضا وفى شرح الوهبانية :

وفى عصرنا فاختير حد واوقفوا طلاقا لمن من مسكر الحب يسكر وعن كلهم يروى ، وأفتى محمد بتحريم ما قد قل وهو المحرر

وعليه فان ما ورد فى هذه الفقرة بأن محمد لا يرى وجوب الحد الا فى حالة السكر مخالف لهذا النص الفقهى ولما جاء فى شرح الوهبانية » . انتهى كلام الاستاذ السببى فى الملاحظة (٢٦) من انتقاداته . وقد

عجبنا من دعواه المخالفة بين ما في الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة وما نقله من النقول عن القهستاني ، وعن المنظومة الوهابية (لا شرحها) ، ووضعنا العبارات تحت المجهر لنرى تلك المخالفة التي ادعاها فأعجزتنا رؤيتها . فان قول القهستاني : (فيحد ويقع طلاقه) مرجع ضميره الى المسكران السابق الذكر ولا مرجع له مذكور سواه .

فالقهستاني وابن وهبان في منظومته ميز كل منهما بين الحرمة والحد عند الامام محمد ، وبيننا ان تناول القليل من هذه الأنبذة حرام عند محمد . وأما الذي يسكر منها فانه يحد عنده ، ويقع طلاقه اذا طلق . وهذا عين ما جاء في الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة فابن المخالفة !!؟

فان قيل : فما فائدة الحرمة عند محمد اذن في القليل اذا كان لا يحد منه ؟

نقول : ان هذا السؤال لا يعترض به على كلام الموسوعة التي نقلت رأي الامام محمد بأمانة ، ولكنه يوجه الى رأي الامام محمد نفسه . وان الموسوعة قد توقعت هذا السؤال ، ووضعت جوابه ولكن الاستاذ الناقد قد حذفه من كلامها الذي نقله ليفتح بهذا الحذف ثغرة الى النقد !!

وفي الفقرة (٦٧) من كلام الموسوعة الذي نقله الاستاذ الناقد بعد قولها (ولكن لا يرى وجوب الحد على شاربها الا في حالة السكر فقط) جملة قد حذفها الاستاذ الناقد من بين الكلام — على كبير اهميتها وتلك الجملة المحذوفة — هي : (وفي غير تلك الحالة فالمعقوبة هي التعزير) وقد سبق ان نقلناها حين عرضنا مضمون الفقرة ٦٧ في المثال الاول ومنها يتضح ان جزاء حرمة شرب القليل من هذه الأنبذة غير الضمر عند محمد هو عقوبة التعزير . أما الحد فلا يقام عنده الا على من يسكر منها .

وليس هذا هو المحل الوحيد الذي يعتمد فيه الاستاذ الناقد حين ينقل كلام الموسوعة الى حذف الجزء الذي ينص على وجوب العقوبة التعزيرية حين عدم توافر شرائط اقامة الحد في بعض الحالات في نظر الفقهاء ، بل تكرر منه ذلك في أماكن أخرى :

في الملاحظة (٢٧) من انتقاداته ص (١٩) قال ما نصه :

« ورد في الفقرة (٨٢) « اي من موضوع الاشربة الموسوعي » المتعلقة في البنج والحشيش والأفيون : فان اكل الشخص شيئا من ذلك لا يقام عليه حد الشرب أو السكر وان تخدر منه لأن الشرع اوجب الحد بالسكر من المشروب المانع لا المأكول » .

اقول : ان هذا مذهب السادة الحنفية . وأما عند الأئمة الشافعية فقد وجب اقامة الحد بالسكر الخ .. » انتهى كلامه .

فهنا أيضا حذف الاستاذ الناقد بقية عبارة الموسوعة على اهميتها وكونها قيما ضروريا ، منعا لتوهم الاباحة من عدم اقامة الحد وتلك التهمة التي حذفها من كلام الموسوعة هي : « وانما يعاقب بالمعقوبات التعزيرية الاخرى ، أو بالضرب دون الحد الشرعي وفقا لما يراه القاضي محققا للزجر والرذع » فقد بتر الاستاذ الناقد هذه التهمة من عبارة الموسوعة واقتصر على جملة عدم اقامة

حد الشرب أو السكر !! فحفف من عبارة الموسوعة صمام امانها تمهيدا لمهاجمتها ظلماً ، لأنه لو ابقى العبارة كما هي لما بقى مجال لنقدها !

هذه صورة اجمالية مدعومة ببعض الأمثلة الناطقة المفصحة عن طبيعة انتقادات الاستاذ السبسي لموضوع الأثرية من الموسوعة الفقهية في طبيعته التمهيدية دون تتبع . وهي تعطى فكرة عنها كلها ، لأنها جميعاً تجرى على نغم واحد .

وقد جاء في مقدمة انتقاداته هذه قوله : « ولقد لفت نظري أن هذا الكتاب فيما يظهر عليه أنه ليس من وضع لجنة الموسوعة وإنما استكتب من خارج اللجنة ، وجرت عليه بعض التعديلات وأخرجته الموسوعة على أنه من بعض أعمالها ، وقد استغربت أن تجعل لجنة الموسوعة بأكورة أعمالها تبني موضوع ليس من إنتاجها » !!

فمنها لا بد لنا من وقفة على هذا الكلام تنويراً لمن يهمه أن يعلم :

يظهر أن الاستاذ لم يقرأ الملاحظة البارزة التي وضعت آخر الموضوع في صفحة مستقلة (ص ٥٦) لفناً للأنظار إليها وفيها أعلنت إدارة الموسوعة : « أن هذا الموضوع مما استكتب من خارج جهاز الموسوعة وأجرى عليه في إدارتها تنقيح كثير وتعديلات أساسية واسعة » . ولذا احتاج الاستاذ الناقد أن يستنتج هذا استنتاجاً ، ويسوقه بأسلوب يوحى بأن الموسوعة أخذت عمل غيرها « وأخرجته على أنه من بعض أعمالها » !! هذا مع أننا نبهنا في تلك الملاحظة البارزة في آخر الموضوع على أن للموسوعة طريقتين تتسلكنهما في تحرير الموضوعات الفقهية : « فبعضها يكتبه أعضاء هيئة التحرير في جهاز الموسوعة ، وبعضها يستكتب من خارج جهاز الموسوعة » أي لقاء مكافأة مالية .

والواقع أن الموسوعة بدأت أعمالها بطريقة الاستكتاب ، وهي الطريق الأساسية الرئيسية المعتادة في تحرير الموسوعات العلمية في العالم . أما وجود هيئة تحرير ثابتة في مركز الموسوعة فهذا نافلة لجأت إليه الإدارة هنا ابتغاء زيادة الجهود . فأي موسوعة علمية في العالم تبلغ عشرات المجلدات الضخمة تستطيع لجنة من بضعة أفراد أن تقوم هي وحدها بكتابتها على تنوع اختصاصاتها ؟ وهناك في أقطار العالم العربي والإسلامي فقهاء ممتازون لا يستطيعون ترك أوطانهم والآفة في سواها ، وقد يكونون أعلى كماً في العلم والكتابة الفقهية الموسوعية من سواهم ، فاشراك هؤلاء في تحرير الموسوعة يجعلها نتاجاً مشتركاً تعاون عليه كل ذى طاقة من علماء المسلمين ، وليس نتاج بضعة أفراد .

وبعد ، فإن إدارة الموسوعة لا تكره النقد والملاحظات ، بل هي التي طلبته وطبعت هذا الطلب عبارة ثابتة على طرة كل موضوع في الطبعة التمهيدية . ولكننا لا نستطيع الترحيب بالنقد على غير بصيرة ، بل نريده نقداً بناءً . ففعلنا ونحن بشر من فرد أو لجنة لا يخلو من نقص أو خطأ أو عيوب

ولاسيما العمل المبتكر ، فإن العصمة لله وحده . فيجب أن يتعاون النقد البريء المخلص مع الموسوعة ليأتي النتاج أقرب إلى السكبال بقدر الإمكان خدمة للشريعة الإسلامية الخالدة وثروتها الفقهية العظيمة التي هي أمانة في أعناقنا .

وهذا العمل الضخم لا ينهض به فرد ولا لجنة ما لم يتعاون عليه القادرون بإخلاص من كل أقطار العالم الإسلامي ، مالا وعلما ومجهودا ، كل في حدود قدرته . وعلى هذا الأساس قام هذا المشروع هنا في الكويت ، وعلى هذا الأساس نبتت في إدارة المشروع فكرة الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة رغم تكاليفها الباهظة ، وإن الإدارة تشكر كل من يتجاوب معها في هذا الشعور ويهديها ملاحظاته وانتقاداته البريئة أرشادا وتصحيحا وتوضيحا ، لا تشهيرا وتجريحا . هداانا الله سبحانه إلى سواء السبيل .

العِمرَة في رَمَضانَ

للعمرَة في رمضان ثواب كبير يساوي ثواب حجة

روى البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار سماها .. ما منعك ان تجيء معنا ؟ قالت كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه — أزوجها وابنها سوترك ناضحا ننضح عليه ، قال : فإذا كان رمضان اعتبرى فيه فإن عمرَة في رمضان حجة أو نحوها مما قال (وفي رواية مسلم) قال : فعمرَة في رمضان تقضى حجة أو حجة معي .

ولكن يجب أن يعلم أن العمرَة في رمضان وإن كان لها مثل ثواب الحج إلا أنها لا تسقط فريضة الحج عن عليه هذه الفريضة .

عمرات النبي وزمانها

روى انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته . عمرَة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة ، وعمرَة مع العام المقبل في ذي القعدة ، وعمرَة من جعرانه حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة ، وعمرته مع حجته .

وأما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة لفضيلة هذا الشهر ، وإخالفه الجاهلية في ذلك فانهم كانوا يرونه من أفجر الفجور ففعله صلى الله عليه وسلم مرات في هذا الشهر ليكون أبلغ في بيان جوازه فيها ، وأبلغ في إبطال ما كانت الجاهلية عليه .

المآذن والمحاريب والمناابر الإسلامية

تصميمها

وطرزها

كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة هو النموذج الذي اجتذاه المعمار الاسلامي لبناء المساجد في الامصار والولايات الاسلامية على مر الزمان ، فالمسحن المكشوف الذي يتوسط المبنى يحيط به رواق من كل جانب ، ونظام الاعمدة التي تحمل المسقف اتخذ من المباني والمعابد القديمة اول الامر ثم استبدلت باعمدة الرخام أو الأجر فيما بعد .

وكانت سنة التطور تقضي بتزيين المساجد وتنميقها وزخرفتها حتى تتفق هذه المساجد مع عظمة الدولة الاسلامية وسلطانها الذي امتد من الهند في الشرق حتى المحيط الاطلسي في الغرب ، كما أن المساجد عدت بمثابة معاهد للدراسة والعلم ومكانا للتحدث والتشاور في أمور الدولة يلتقى فيها الخليفة اوامره وتعليماته ويبحث فيها على الجهاد في سبيل الله ويدعو المؤمنين الى الانخراط في مسلك الجيش للدفاع عن حدود البلاد كما انه يجب ان تحظى المساجد باهتمام الحكام فهي بيوت الله يجدر الاهتمام بها تعظيما لها وتقديرا لمكانتها في نفوس المسلمين .

المآذن :

ولم تكن المآذن معروفة أيام النبی علیه الصلاة وإزکی السلام ، بل كان بلال يؤذن من أعلى سطح يجاور مسجد المدينة ، ولما فتح العرب دمشق وشاهدوا فی معبدها القديم صوامع مربعة الشكل فی الأركان الأربعة للسور الذى كان يحيط بالمعبد ، وجدوا فی هذه الصوامع مكانا مناسبا للأذان لارتفاعها عن المباني ولا مكان سماع صوت المؤذن من شرفاتها بوضوح ، وقد أمر معاوية بن أبى سفيان ببناء أربع مآذن لمسجد عمرو بن العاص (بالفسطاط) فی مصر عام ٥٣ هـ ولا زالت كلمة صومعة تعنى مؤذنة فی بلاد المغرب حتى الوقت الحاضر .

ومن المآذن الفريدة فی طرازها وضخامتها منارة جامع القيروان التى سبدها حاكم القيروان بشر بن صفوان بأمر الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك فی عام ١٠٥ هـ وهى مربعة التخطيط وتتكون من ثلاث طبقات یبلغ ارتفاع القاعدة ١٨٨٧ مترا وارتفاع الطابق الثانى خمسة أمتار والثالث یصل ارتفاعه نحو ٧٥٠ مترا وهكذا تصل المنارة الى ٣٩٨٩ مترا عدا القبة التى تتوجها . أما طول ضلع القاعدة فحوالى ١٠٦٧ مترا وتبیل میللا هربيا حتى تصبح فی أعلى الطابق الاول ١٠٢٠ مترا وهذا الميل الهرمى يدل على فطنة المعمار الاسلامى وأدراكه العلمى الصحيح لاسلوب البناء اذ جعل للبناء نوعا من التوازن السليم یحفظه من السقوط ولا تظهر ظاهرة الميل الهرمى فی

للاستناد

محمد أسيني عبد العزيز

وزخارفها

الطابقين العلويين من المنارة اذ یبلغ ارتفاع طول ضلعها على التوالى ٧٩٠م و١٦٠م وقاعدة المنارة مشيدة من الحجر وتبتدىء بسبعة مداميك من كتل من الحجر اخذت من الآثار الرومانية القديمة ویبلغ ارتفاع كل من الاربع مداميك الاولى ٢٧سم بعضها نقشت علیه حروف لاتينية أما باقى المنارة فقد بنيت من قطع منتظمة صغيرة من الحجر سمكها ١٢٥سم وتبدو لصفير حجها كأنها مصنوعة من الآجر ، ویصعد المؤذن من داخل المنارة على درج یصعد الى قمتها یتلف حول كتلة مربعة وفى أعلى الطابق الثالث جوسق ارتفاعه ٤٠م وتعلوه قبة حوالى مترين . ویقلب على بناء المنارة فی العمارة السورية .

ومن روائع منارات المغرب منارة جامع حسان بن النعمان الرائعة فی مبناها وزخارفها وقد اقيمت فی الجهة الشمالية من المسجد وهى مربعة الشكل طول ضلعها ١٦ مترا وارتفاعها ٦٥م وهى مطعمة من الخارج بحجارة زهرية اللون تحولت بفعل المناخ الى اللون الاحمر ، وهكذا فمنارة مسجد حسان من أجمل المنارات فی فن العمارة المغربى .

ومنارة جامع أحمد بن طولسون فی القطائع حاضرة مصر الطولونية



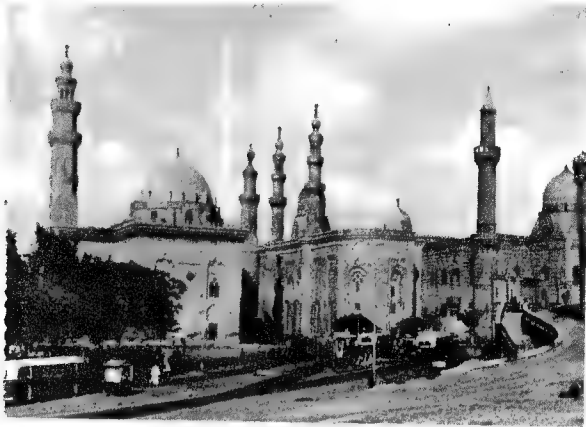
طراز المسافن العثمانية

مريدة في طرازها حيث يصعد الى قمته بدرج حلزوني يدور حولها من الخارج ، والمئذنة مربعة المسقط تقريبا (١٢٫٧٨ x ١٣٫٦٥ مترا) وترتفع الكتلة الحجرية الساقطة الى مايربو عن أربعين مترا في روعة وغخابة وتتكون المئذنة من ثلاث طبقات يصعد الى سطح الطبقة الاولى بعد ان يرتقى الانسان مائة وسبعين مرقاة ، وتعلو الثانية سابقتها بنحو ستة عشر مرقاة وينتهي السلم الى الطبقة الثالثة التي بنيت على هيئة مخرة تغطيها قبة مئونة .

وقد اقتبست هذه المئذنة عن المئذنة الملوية التي شيدها المتوكل العباسي بمسجده بمدينة سامرا بالعراق ٢٣٤ هـ وقد أخذت الاخيرة عن المعابد البابلية التي كانت مستطيلة التخطيط غالبا او مربعة ، وطرازها برج مدرج ذو طبقات تتناقص اضلاعها كلما ارتفع البناء وواجهتها عمودية ويصل الصاعد الى قمة الطابق الاسفل عبر سلم خارجي شديد الانحدار والى الطبقات العليا بامتداد هذا السلم ومسقط المئذنة مربع ذو مطلع قليل الانحدار يدور حول البناء في دورات كاملة حتى القمة .

ومن اروع المآذن الاسلامية واعظمها مئذنة مسجد اشبيلية التي امر ببنائها الخليفة أبو يعقوب يوسف عام ٥٨٤ هـ وقد شيدت من الاجر على مثال مئذنة جامع حسان ومئذنة جامع الكتبية بمر اكش ويشهد بناؤها على روعة الفن الاسلامي وجمال زخارفه ويصل ارتفاعها ٩٦ مترا ويصعد اليها من الداخل بواسطة ممرات رسمت بالاجر ولها نوافذ وشرفات وتتوجها تفاحات مذهبة قام بصنعها ابو الليث الصقلي .

ولنعد الى مئذنة جامع قرطبة اول مسجد شيد بالاندلس وكان درة المساجد الاسلامية والنموذج الاساسي الذي احتذاه المعمار الاسلامي في بناء المساجد هناك ، وقد شيد لمسجد عبد الرحمن الداخل صومعة (مئذنة) تتناسب مع حجم المسجد وقت بنائه ولما تولى الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) عام ٣٤٠ هـ امر ببناء صومعة عظيمة بدلا من صومعة هشام التي كانت قد تصدعت وجعل لها شيوخ المهندسين واحضر لها الحجار الضخمة وكان

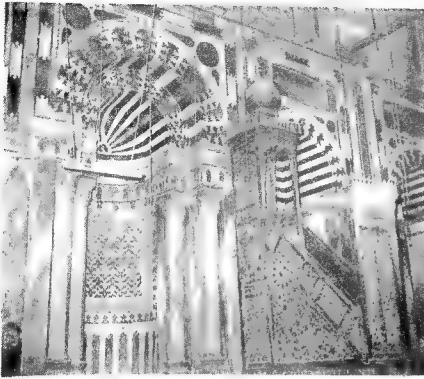


جامع السلطان حسن مآذنة على طراز الملوكي

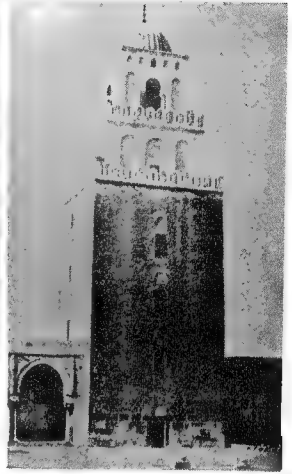
للصومعة الاولى مصعد واحد لكن المنارة الجديدة ذات مصعدين فصل بينهما
بالبناء فلا يرتقى الصاعدون اليها الا عند وصولهم اعلاها ، وكان لكل مطلع
منها مائة وسبع ادراج ونصب في اعلى الصومعة سورا ركبت فيه ثلاث
تفاحات تبهر الناظر بجمالها ، السفلى والعليا من الذهب المفرغ والوسطى من
الفضة وارتفاع كل تفاحة ثلاثة اذرع ونصف ذراع وكان طول كل جانب من قاعدتها
المربعة ٨ر٤٨ مترا وكان نظام بنائها على اساس كتلتين من الحجر موضوعتين
بعرضهما بين كتلة طويلة طولها (١٥٠ × ٧٠ مترا) وقد اهتم الباحثون
بدراسة هذه المنارة واثبتوا انها كانت ذات نواغذ وعقود متجاورة للغاية يزينها
في محيطها شريط بارز .

وقد امتاز العصر الايوبي بنباذج جديدة للمناير حيث تتكون من قاعدة
مربعة تنتهى بشرقة مثنية محمولة على كوابيل خشبية ويعلوها طابق آخر مثنى
الشكل واقل ارتفاعا من السفلى ويعلو المنطقة المثنية صفان من المقرنص
(حنية كالحارة) وفى نهاية المنارة من قممها قبة لها استطالة رأسية مضلعة
تعرف باسم البخرة ونموذج هذه المنارات منارة الصالح نجم الدين ايسوب
بالقاهرة .

وجاء عصر المماليك البحرية بطراز جديد للمآذن في مصر فقد تحول أسلوب
بنائها في الطابق الاوسط من المربع الى المثلث والشرقة الجميلة التى تفصل هذا
الجزء المثلث الاوسط عن العلوى محمولة على صفوف من المقرنصات والمثلث
العلوى اقل ارتفاعا وضلعه اصغر من سابقه وتزخرف اضلاعه الصماء اشربة
الحقبة من الرخام الملون وينتهى هذا المثلث بشرقة محمولة على المقرنصات
(الدلايات) وتعلوها سقيفة مثنية محمولة على اعمدة رخامية رقيقة يتوجها
كورنيش بارز من المقرنصات بقمته نهاية منتفخة .



محراب مسجد محمد علي بالقاهرة



منارة جامع القيروان

أما في عصر المماليك الشراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٦ م) فتتكون المنارة من مربع يليه مئذنة ويظهر جمال النسب وروعة الانسجام في شكل البناء مع رشاقة التصميم وتمثلها منارة السلطان قايتباي بصحراء المماليك فهي تحفة معمارية من حيث جمال النسب ودقة التفاصيل .
أما المئذنة التركية فتمتاز بصغر بدنها وزيادة ارتفاعها حتى أصبحت رفيعة مدببة أشبه بالقلم الرصاص وتتكون كل منها من ثلاث مناطق متعددة الاضلاع تفصلها عن بعضها ! شرفتان محمولتان على صفوف من القنصص وتنتهي كل منها في أعلاها بقمة مخروطية مدببة وقد اقتبست عن سائتا صوفيا ، ويمثلها مسجد السلطان أحمد في إسطنبول ومسجد محمد علي بالقاهرة .
وتتمتاز عمارة المباحث الفارسية بالمآذن الأسطوانية ، أما الهندية فمآذنها أسطوانية أو مضلعة الشكل التي تتخذ شكلا مخروطيا في أعلاها ويمثلها المسجد الجامع في دلهي من القرن الحادي عشر الهجري .

المحاريب :

ولم يكن المحراب الجوف معروفا قبل العصر الأموي حيث اقتبسه المعمار الإسلامي عن المعابد بدمشق وقد ظهر أيام الوليد بن عبد الملك في مسجده الذي شيده بدمشق كما نقل النظام والأسلوب الى مسجد المدينة ومسجد عمرو بالفسطاط وكان المحراب بسيطا لا نقش فيه ولا زخرفة يتفق مع بساطة الدين فلما عظم شأن الدولة الإسلامية وزاد رخاؤها وكثرت مصادر خيراتها من الولايات والأمصار التي دخلت في حكمها تفنن المعمار في تزيين المحراب وتنميقه

تكمساه بالرخام المختلف الألوان وطعم اجزاءه يقطع الفسيفساء النادرة ومن الأمثلة على هذا التجديد والتعذيب ما يشاهد في محراب ابن طولون .

وكانت عناية الفاطميين بالمساجد وتزيين المحاريب بالغة اذ وضع الاهتمام كما يشاهد في المحراب المعزى الذي شيده القائد جوهر في الجامع الأزهر ، ويمتاز المحراب بزخارفه وكتاباتاته التي تنطق بروعة وجمالا ، فضلا عن زيادة عدد المحاريب في المسجد ، ومنها المحراب الذي أمر الخليفة الأمر بالله الفاطمي بعمله وقد صنع المحراب من الخشب وتقرخفه نقوش وكتبت فوقه لوحة من الخط الكوفي نصها « بسم الله الرحمن الرحيم » « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » مما امر بعمل هذا المحراب المبارك برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية القاهرة مولانا وسيدنا المنصور بن عبد الله أبي على الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين في شهر سنة تسع عشرة وخمسة مائة الحدد له وحده .

كما أمر الحكم المستنصر الأموي عام ٢٥٤ هـ ببناء محراب ثالث لمسجد قرطبة وكساه بالرخام الزين كما شيّد قبة ضخمة رصعت بقطع من الفسيفساء قام بصنعها فنانون من القسطنطينية .

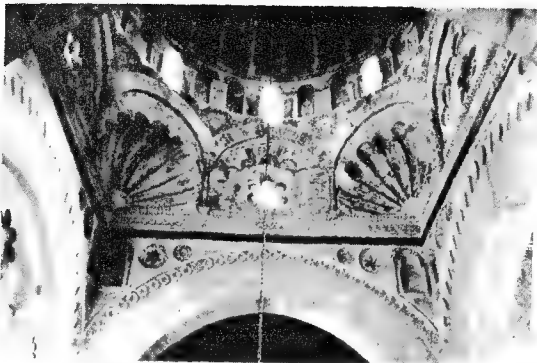
ونال مسجد ابن طولون عناية الخلفاء الفاطميين حيث أمر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي عام ٤٢٧ هـ بتشييد محراب للمسجد وجاء المحراب آية في الروعة والإبداع في زخارفه وطريقة الحفر ودقته ، وسجل عمله بكتابة كوفية مزهرة أمر بانشاء هذا المحراب خليفة أمير المؤمنين الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آياته الطاهرين وأبنائه المنظرين السيد الأجل الأفضل سيف الإسلام شرف الأنام ناصر الدين .

وقد حظى المسجد برعاية أحد حكام الماليك حسام الدين لاجين عام ٦٩٦ هـ الذي شيّد محرابا لمسجد ابن طولون زينه بقطع الفسيفساء الذهبية وأرخ المعمار هذا التجديد للمحراب بهذه العبارة « اقام هذا المحراب المبارك مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين سلطان الإسلام » .

ومن المساجد المملوكية مسجد الرفاعي الذي أمر ببنائه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ووالى القاهرة ومحتسبها حوالي عام ٥١٦ هـ ويتوسط الجدار الشرقي المحراب الكبير الذي كسى بالرخام الملون كما زين عقده وتواشيعه بمزربرات رخامية ملونة فوقه مقترنص مذهب ، ويقوم على جانب المحراب منبر كبير ، حاشيته موشاة بالعاج والابنوس ونقشت قبته وتقرصاته بالذهب .

ومن أشهر المحاريب في صناعتها وزخرفتها محراب السيدة نفيسة الذي يتألف من عدة حشوات مجمعة تضم زخارف نباتية ورسوما هندسية وله إطار يجرى فيه شريط من الكتابة الكوفية كما يجرى شريط آخر حول حنية القبلة نفسها ، والزخارف النباتية في هذا المحراب غالية في الدقة ومبهما مسيقان ووريقات بينها أوراق العنب والصفائيد مرسومة في أسلوب قريب من الطبيعة وتتألف زخارف حنية القبلة من رسوم متشابكة وبينها وريقات ومروع نباتية أكبر حجما وهي غنية بالارواح النخيلية وأوراق العنب وحباته .

أما محراب السيدة رقية فهو إحدى آيات الصناعة وتتألف حنية القبلة في هذا المحراب من حشوات سداسية الشكل مجمعة بحيث تنحصر بينها حشوة علي شكل نجمة ذات ستة اطراف وتزين كل حشوة من الحشوات سيقان نباتية



واجهة محراب جامع القيروان

دقيقة فيها وريقات ذات فصوص تحف بها كتابة بالخط الكوفي الموزق ، وواجهة المحراب من خشب جيد ومزخرفة بخشوات من الساج وخشب زيتون على شكل نجوم وأشكال هندسية كثيرة الاضلاع ووريقات دقيقة ويحيط بالزخارف اطار من الكتابات الكوفية ، وظهر المحراب مزين بتسع خشوات كبيرة بين رسومها تباين جميل فالمعينات والاشكال النجمية مزينة بفروع نباتية قليلة الحفر بينما الخشوات الاخرى مزينة بأوراق عنب وعناقيد عميقة في حفرها .

ومحراب المستنصر الفاطمي يتألف من قبلة من الخشب يحف بها عمودان ينتهي بكل منهما بمحمل وبقاعدة رومانية الشكل ويرتكز عليها عقد فارسي كعمود الرواق الرئيسي بجامع الازهر ويحيط بالقبلة شبه اطار في كل من جانبيه الايمن والايسر أربع خشوات من خشب النبق وفيها زخارف نباتية ووريقات ذات ثلاث او خمس فصوص وفوق المحراب نص بالخط الكوفي « بسم الله الرحمن الرحيم » حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله حائنين » .

وفي الاندلس الاسلامية يعد محراب جامع قرطبة النموذج لفن المعمار الزخرفي فقد اهتم المهندس العربي ، وعنى به اكبر عناية لانه انبسل مكان في المسجد « مقوسه احكم تقويس ووشيه بمثل ريش الطواويس حتى كانه بالجرة مغرطق ويقوس قزح مننطق وكان اللازورد حول وشومه وبين رسومه نفق من قوادم الحمام او كسف من ظلل الغمام » وعلى واجهته سبع عقود ثلاثية الفصوص مزججه دقيقة التكوين والزخرفة يطوها افريزان بين بحرین من الفسيفساء المذهب على ارض الزجاج اللازوردي وتحت هذه العقود افريزان آخران وعلى رأس المحراب خصة من الرخام مشبوكة محفورة منقبة تشببه



منارة جامع ابن طولون - القاهرة

الوقوف المقلوبة ويؤزر المحراب من واجهته لوجتان جانبيتان من الرخام حُفرت فيهما توريقات وتشجيرات غاية في الجمال والروعة .

ويختلف محراب مسجد محمد على بالقلمة عن الأسلوب الزخرفي البسيط الذي يسود المحاريب التي أقامها العثمانيون في مساجدهم على حين يزخر محراب مسجد محمد على بالرخام الأبيض حليت طاقيته بزخارف مذهبة تمثل أشعة الشمس يجاوره منبر رخامي جديد بالقرب من المنبر الخشبي القديم وهو أكبر منبر حلي بنقوش بارزة مذهبة .

وعلى هذا النحو تطور المحراب في أسلوبه وزخارفه فبعد أن كان مسطحاً في عهد النبي والخلفاء الراشدين وأوائل العهد الأموي غداً مجوفاً رائعاً في زخرفته بديعاً في صنعه كسى بالرخام ووشى بالفسيفساء المذهبة وأحيط بعمودين معقودين ونقشت على واجهته الآية القرآنية الكريمة « كلما دخل عليها زكيا المحراب ... » وتفنن المعمار في نقشه وزخرفته بالكتابات الكوفية والنسخية والزخارف البديعة .

المنابر :

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في مسجده الأول بالمدينة وهو مستند إلى جذع نخلة وقد اتخذ الرسول الكريم المنبر من خشب الأثل وكانت له

ثم نسفوا البيت

تمثيلية شعرية قصيرة



للأستاذ : أحمد حسن القضاة

« المنظر الأول »

المكان : مدينة غزة الباسلة .

المنظر : فدائيان التجأ الى بيت عربى ، بعد أن قاما باحصى المبيعات مع زملائهما بالقرب من المدينة . طرقا الباب ليلا ، ولما فتح الباب وجدا شيخا وامراته المجوز اللذين ما أن عرفا الطارق حتى بادرا بادخالهما . ولكن الفدائيين البطلين لا يريدان اقحام نفسيهما على هذين الشيخين من غير أن يطلبوا الاذن بالدخول ، ولذا وبعد أن توسطوا ضمن الدار قال الفدائى الأول :

يا ابن مسادات كرام	ايها الشيخى الهمام
ساعة فيها ننام	نحن من قومك نرجو
لو رحلنا بسلام	ماذا شئت دخلنا

الشيخ (للفدائيين بعد أن عرفهما) :

بكم الحق تجلى	مرحبا أهلا وسهلا
فى سبيل الله سهلا	ان ما يصعب يغدو
نحضر الماء واكلا	فاذهبوا للنوم حتى

راحة المتعب أولى

الفدائى الثانى للشيخ :

فيك يا شيخا وقورا	بارك الله كثير
عاشت الامة من تنجب أبسطا لا نسمعورا	
قد تمسكوا فى البطولات صغيرا وكبيرا	

يدخل الفدائيان لياخذا قسما من الراحة ، وينصرف الشيخان لاعداد الطعام لهما . كانا راضيين بما سيقدماه من خدمات لمثل هؤلاء الأبطال الذين يذودون عن الحى ويدافعون عن الديار . ثم يدور حوار بسيط بين الشيخ وامراته :

(الشيخ) :

يا ابنة العرب الابية	زوجتى الخير الرضية
نمنع الزاد سوية	أوقدى النار هلمى
عض داء الجوع هذين باتي	عسى داء الجوع هذين باتي
قوية	انما الجوع منية

المرأة :

انفسى طوع الاوامر يا ابن ابطسال اكابر
سوف امضى بسرور اوعد النصار لثاثر
وهنيئنا ومريئنا زادنا الحصر حاضر
وبعد ساعة وما أن اخذ الفدائيان قسطهما من الراحة حتى
جلس الجميع يتناولون الطعام . وفى أثناء ذلك تحدث درة
واحاديث .

(الشيخ مرحبا ومحذرا) :

كم انا جد فخور ويواتنى السرور
ولقد اطلع صدى وتولانى الحبور
يوم أن حل ببيئتي من رجال الثور
فكلا ما رزقنا واذها قبل (الثور)
قبل أن يشرق صبح ويمسم الكون نور

عندها يفتح المور

منفذاً نحو القبور

ثم يقضى الفدائيان شطرا من الليل ويغادران البيت بعد ذلك
تحت جناح الظلام عائدین الى قاعدتهما بطريقتهما الخاصة ..
وكان هذا دأبهما فى أكثر الاحيان .

(ستر)

« المنظر الثانى »

المكان : نفس المكان الاول .

المنظر : تهاى الى سمح جنود الاحتلال الاسرائيلى بأن هذا
البيت يؤوى بين الحين والآخر جماعة من رجال المقاومة العرب ،
مقرروا نفس البيت بعد عملية تفقيش واسعة فنسفوه على مرأى
من اصحابه وقتلوا الزوج الشيخ ، وقبل أن يثثوا بالمرأة دار هذا
الحوار بين الضابط اليهودى وبين المرأة المجوز :

انتقم يا مجرمون ويحكم ! ما تطلبون ؟
قتل الزوج وماذا بمده من تقطعون ؟
نسب البيت وماذا بعده ، ما تقطعون ؟
ويحكم يا مجرمون !

ياخذ الضابط اليهودى وجنوده العجب لما راوا من بلاغة
المرأة وجراتها ، ويخاطبها الضابط بمكر ومخفية :
الضابط اليهودى :

انتنا اهل سلام ودعاة للوئام
علمنا اذا قد اويتم من ذوى اهل اللثام
نبش قومك لسننا من حشالات الابنام
ودمى هفرك نامى

(المرأة بكرياء وغضب) :

انتسم شر البسرية لم توحىكم (هوية)
كلصوص جمعهم غاية النهب الدنيئة
فاسحتلوا بعد حين لذئاب هجيئة

كلهم يبنى (الضحية)
يتقدم الضابط نحو المرأة مصوبا بنقيته لصدرها ، بعد أن
استغفرته بكلامها اللامع فتصرخ العجوز قائلة :
المرأة :

أين أبطل الجهاد من رجالات بلادي ؟
سمع الصوت (ولكن لا حياة لمن تنادي)
عجزت نسوة تومي أن يلدن أخا جهاد
إذا طغى ظلم الأعدى
وهنا يخاطب الضابط المرأة قبل أن يطلق عليها النار بقوله :
الضابط اليهودي (ساخرا وغاضبا) :
أين أبطلك أين لم لم يأتوا الينبا ؟
كخفافيش الليالى لا يبينون علينا
يا عجوز السوء هذى (طلقة) تطلق بيننا
مخذيها وأسبقتنا
ثم يطلق عليها النار فتسقط مضرجة بدمائها ، وعندئذ يذهب
الضابط وجنوده عن المكان .

(سقار)

« المنظر الثالث »

المكان : نفس المكان الأول .
المنظر : تحضر الى مكان الحادث فتاة من نفس الحي بعد أن
راقت ما جرى من نافذة بيتها المجاور . كما يحضر كثير من سكان
الحي الى المكان . تحدث جلبة وأصوات حول الجثتين . تجس
الفتاة نبض المجوزين لتجدهما ميتين ، فتبكي وترفع يديها صوب
السماء وتقول :
الفتاة :

يا اله الكائنات يا مجيب الدعوات !
انت تدري ما نلاقى من حثالات بفاة
ولقد طال شـققنا غمتى نـمرك آت ؟
أو أرحنا من حياة !

يسمع الناس صوتا دون أن يتبينوا صاحبه .
(يصحب الصوت موسيقى حزينة)

الصوت :

أيها الطالب نصرا
ان نصر الله يأتى
يوم لا يفرس صوت
يوم ان يصحوا أهـ
ويقيم الصف فردا
هكذا الخالق يقضى
غيروا (الواقع) حالا
يتلاشى الصوت :

« سقار الختام »

بقية المآذن والمعارض

ثلاث درجات وكان صاحب الرسالة يجلس على الدرجة الرابعة واضعا قدميه على الدرجة الثانية ولما تولى أبو بكر خليفة رسول الله صابر يجلس على الدرجة الثانية على حين كان يجلس عمر بن الخطاب اثر توليه الخلافة على الدرجة الأولى واضعا قدميه على الأرض .

ولما اتخذ عمرو بن العاص منبرا بمسجده بالفسطاط نهاه الخليفة عمر بن الخطاب وكتب اليه - « أما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين ، أو ما يكفيك ان تكون قائما والمسلمون تحت عتبك لمعزمت عليك الا ما كسرتة » .

وما لبث التجار العربى ان تفنن فى صناعة المنابر من حشوات مجمعة ومن أروع هذه المنابر المنبر الذى صنعه بدر الجبالى لشهد الحسين بمسجلان والذى نقل لمسجد الخليل وزخارف هذا المنبر دقيقة ويمتاز بالفروع النباتية المنقوشة فى مناطق من اشكال هندسية ومن نجوم تتألف من سيقان نباتية بين شريطين لازخرفة مبهما .

ومن التحف النادرة منبر الجامع المعزى بمدينة قوص بصعيد مصر وعليه لوحة من الخشب تشتمل على الآية الكريمة بخط كوفى مورق « بسم الله الرحمن الرحيم » « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وينسب الى الحافظ بالله الفاطمى .

ومن ابداع المنابر التى تنسب الى القرن السابع الهجرى منبر جامع ابن طولون ومنبر جامع المرادى والأول من خشب الساج والابنوس وزخرفته بالرسوم النباتية وقد صنع بأمر السلطان لاجين أما المنبر الثانى لمحشواته من السن وقد تميزت بعض قطعها الى أوروبا لكن لجنة حفظ الآثار العربية تمكنت من شرائه واعداده الى المتحف الإسلامى بالقاهرة .

ومنبر الكتبية فى مراكز غنى بالحشوات ذات الرسوم النباتية الدقيقة والاشكال المختلفة ، وحشواته عبارة عن نجوم مبهمة الأطراف ومعظم الحشوات مثلثة الجوانب ومسدايب الخشب التى تحبس الحشوات مرصعة بالمعاج . والاشباب الثينة وعليه كتابات كوفية بسيطة ومورقة وتبدو الثروة الزخرفية فى رسوم الحشوات وقوامها المرواح النخيلية ذات المروق الدقيقة .

وقد صنعت بعض المنابر ايلان العصر المملوكى فى مصر من الرخام واتخذها منبر مسجد القطرى (٧٢٧ هـ) ومنبر جامع آق مسنقر وهو غنى بزخارفه النباتية ذات الاوراق والصلب .

كانت هذه المنابر موضع اهتمام الصناع الفنان المسلم وهب لها عقله وفكره لتكون رائعة فى نقوشها دقيقة محكمة فى صنمها لطبق بمكتبة الإلم الذى يؤم الصلطين ويهديهم الى امور دينهم ويرشداهم الى اتوم الطرق لاكتساب رضاه الله كما انها كانت المكان الذى جلس عليه اشرف خلق الله محمد رسول الهدى فى اول مسجد بالاسلام ولهذا فهى جديرة بعناية الفنان وتشجيع الدولة لتدسيستها .

الفتاوى

ميراث ذوى الأرحام

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وبنى بنته وبنت أخيه الشقيق فما نصيب كل منهم ؟
أسماعيل الدهشان — البصرة

الإجابة :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود فرع وارث بالفرض أو التعميب ، ولبنى بنته الباقي من التركة يوزع عليهما بالسوية اذ هما من الصنف الأول من ذوى الأرحام ، ولا شيء لبنت الأخ الشقيق لأنها من الصنف الثالث المؤخر فى الإرث عن الصنف الأول .



السؤال :

توفى رجل عن زوجته ووالدته وأخته الشقيقة وأخويه لأمه (ثكر واثنى) وأخيه لأبيه ، فما نصيب كل منهم ؟

عبد العليم سهران — لبنان

الإجابة :

للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، ولوالدته السدس فرضا لوجود جميع من الأخوة ، ولأخته الشقيقة النصف فرضا ، ولأخويه لأمه الثلث فرضا بالسوية ، ولا شيء للأخ لأب لاستفراق أصحاب الفروض التركة ، وتقسم التركة الى خمسة عشر سهما توزع على النحو التالى :
الزوجة ثلاثة أسهم ، الأم سهران ، الأخت الشقيقة ستة ، للأخوين لأم أربعة أسهم بالسوية بينهما .

سيد على — ج . ع . م .

الحلف فى الانتخابات

السؤال :

أحد المرشحين لمنصب يتم التعيين فيه بالانتخاب — حلف الناخبون على المصالح ان ينتخبوه ، ولا ينتخبوا المنافسين له ، فحلف بعضهم ثم تبين له ان المصلحة العامة توجب عليه انتخاب غيره ، فهل يلزمه شرعا التقييد باليمين ، وانتخاب من حلفه غير الكفء ؟ او يجوز له شرعا ان يحث فى يمينه ، وينتخب الكفء الصالح .

س . ع . — الكويت

الاجابة :

نص الفتفاء على ان الحلف بالمصنف يمين لان المراد به الحلف بما فيه من كلام الله تعالى .

والحنث في اليمين يوجب الكفارة ، وهي كما قال الله تعالى في سورة المائدة (فكفارتها اطلعكم عشرة مسلمين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم) .

والحنث في هذه الحالة مشروع ، بل هو افضل لما فيه من المصلحة ، عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا حلفت على يمين ، فبرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك) .

مؤخر الصادق

السؤال :

توفي رجل عن زوجته قبل ان ينخل بها ، فما مقدار ما تركه في مؤخر صداقها ؟

ابو فارس - دمشق

الاجابة :

جميع الصداق المؤجل يحل للزوجة بالوفاة ولو قبل الدخول بها ، ويكون ديناً في تركته يؤديه ورثته الى زوجته كسائر الديون التي يجب اخراجها من التركة قبل حق الورثة .



التزوج بالملحد

السؤال :

هل يجوز لرجل ملحد ينكر وجود الله تعالى ان يتزوج مسلمة ؟

سعيد السامرائي - العراق

الاجابة :

اجمعت الشرائع السماوية على وجود الله تعالى فانكار وجوده سبحانه كفر صريح ، وبناء على هذا لا يحل شرعاً للمسلمة ان تتزوج هذا الملحد ، واذا تم العقد فهو باطل الا ان يعود للإسلام فيجوز له ان يتزوجها بعد توبته .



بربر الوحي الإسلامي

القرآن

بعث الأخ سليمان التركي من استامبول برسالة يسأل فيها عن أشياء كثيرة تتصل بالقرآن الكريم وفيما يلي الإجابة على الرسالة :

القرآن كتاب الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزته الكبرى ، وقد نزل في بضع وعشرين سنة على حسب الحوادث والمناسبات ، وأغلبه نزل في مكة وضواحيها (٨٥ سورة) ويسمى المكي ، ونزل الباقي في المدينة (٢٩ سورة) ويسمى المدني ، وأوله نزولا سورة اقرأ) وحكمة نزوله منجما تنبئت قلب الرسول ، وتيسير حفظه وفهمه على المسلمين ، ومما يروى الحوادث .

والآية جزء من القرآن ذو مبدأ ومقطع ، وأطول آية (آية ٨٢ من سورة البقرة) ، وأقصر آية (الفحي) ورتبت الآيات بتوقيف من الرسول .

والسورة جزء من القرآن وتشتمل على عدة آيات وجملة السور ١١٤ سورة ، وأطولها سورة البقرة (٢٨٦) آية ، وأقصرها سورة الكوثر (٣ آيات) .

وترتيب السور كآيات بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان للوحي كتاب يكتبون ما نزل منه بالعلماء الرسول على الجلود والعظام والأحجار والجريد والنبج ، وبقي القرآن في حياة الرسول محفوظا على هذه الصورة في تلك الصحف ، وفي صدور عدد غير قليل من الصحابة ، وبعد وفاة الإمامة التي قتل فيها عدد من الحفاظ ، نذب أبو بكر - بناء على اقتراح عمر - زيد بن ثابت لجمع القرآن ، وبقيت هذه الصحف مرتبة تحت رعاية أبي بكر وعمر من بعده ، ثم أودعت في بيت أم المؤمنين حفصة ، ولما اتسعت الفتوح ، وتفرق المسلمون في الأمصار جمع عثمان الصحابة واستشارهم في جمع القرآن في مصحف واحد ، بنسخ منه نسخ ترسل إلى الأمصار فأقروه على ذلك ، ونذب لهذا العمل الجليل جماعة من الحفاظ على رأسهم زيد بن ثابت ، وكتبوا عدة مصاحف من المصحف الموجود عند السيدة حفصة وبعثوا إلى كل قطر بمصحف واحتفظ عثمان لنفسه بمصحف منها سمي المصحف الأم .

هناك المجلة :

شكا الينا كثير من القراء في مختلف الاقطار من أن الباعة يخفون

اصحاب السبت :

الاخ فرحان عبد الماجد من البصرة
يسال في رسالته عن سبب تسمية
اليهود باصحاب السبت . وفيما يلي
الاجابة :

اختار اليهود يوم السبت في كل
اسبوع يستريحون فيه من عناء العمل
ويتفرغون فيه لعبادة الله عز وجل ،
ولا يزاولون عملا من اعمال الدنيا
كالصيد والتجارة والصناعة ، وحدث
ان جماعة منهم كانوا يسكنون قرية
تقع على ساحل البحر ، وكانوا
يشغلون بالصيد ، فراءوا الحيتان
تكثر في يوم السبت ، ولكنهم
لا يصطادونها كما جرت بذلك عادتهم ،
فتحركت في نفوسهم دواوى الطمع
والجشع وخرجوا على عادتهم وتعاليم
انبيائهم ، ولم يسمعوها الى نصيح
الواعظين منهم ، وحفروا حفرا كبيرة
وصلوها بالبحر فكانت الحيتان تتجمع
فيها ليلة السبت ويوم السبت ، فاذا
غربت شمس السبت ، وهمت الحيتان
بالرجوع الى البحر حوزوها بسدود
اقاموها ، وكان ذلك احتيالا منهم ،
فعاقبتهم الله بزلزال شديد ، ونسى
ذلك يقول الله تعالى : « وسئلهم عن
القرية التي كانت حاضرة البحر اذ
يعنون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويسوم لا يسبغون
لا تأتيهم كذلك نيلهم بما كانوا
يفسقون . واذا قالت امة منهم لم
تمظنون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم
ولعلمهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا
به اتينا الذين ينهون عن السوء
واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس
بما كانوا يفسقون » .

الهدايا التي توزع مع بعض أعداد
المجلة ، ولا يظهرونها الا لمن يدفع
لهم الثمن الذي يرضيهم ، وقد اطلقنا
هذه الشكايات الى شركة التوزيع
لازالة اسباب الشكوى ، وسبق ان
كتبنا في هذا الموضوع ، واهبنا
بالجامعة ان يراقبوا الله في عملهم ،
وان يكتفوا بالربح الحلال ، ولا ياكلوا
مال الله ومال الرسول ومال
المسلمين ، ولكن يبدو ان بعضهم
اعماه حب المال عن القيم والمبادئ .

ونحن نذكرهم بان كل شيء يأخذونه
بغير حق جرام وسحت ، وانه لا يبارك
لهم فيه ، وكل لحم نبت من حرام
فالفار أولى به .

وعلى الاخوة القراء ان يتشددوا
في طلب هذه الهدايا ، وان يتعاملوا
مع من يرزقون دينه وخلقه .

توزيع المجلة :

وهذا سيل من الخطابات يشكو
فيها اصحابها من تأخر وصول المجلة
اليهم ، وهذه الشكوى هي أهم
ما يشغلنا منذ صدور المجلة حتى
الآن ، وقد اتخذنا من جانبنا علاجا
لهذا التأخير وهو انجاز العدد قبل
موعد توزيعه بخمسة عشر يوما ،
ومراجعة المسئولين عن النقل
والشحن والتوزيع برقيا ، ومع هذا
فلا تزال هذه العقبة قائمة ،
ونحن ندرك تماما ما مدى تأثير هذا
التأخير على التوزيع ، ونشعر بقلق
القراء وحرصهم على الحصول على
المجلة في موعدها ، ونرجو ان تقلل
هذه العقبات في القريب العاجل
ان شاء الله .

بأقلام القراء

كلمة المسلم

يقول الأستاذ عبد الرحمن أحمد شادي تحت هذا العنوان :

شهدت بيعة طريفة محزنة ، بدأ البائع الكلام في ثمن سلعته — وكانت سكيناً بسننر مرتفع خمسة وعشرين قرشاً ، ثم شرع في عملية الماكسة والتغبان ، والجدل الطويل ، والأيمان الكاذبة وأخيراً تبث الصفقة بمشرة تروشي أخذها البائع وسلم السكين للمشتري ، ولم تنفع الأيمان الكاذبة ولم يمد طول الكلام وإضاعة الوقت وأظهار المهارة شيئاً .. لأن المشتري كان على علم بأن صفات السلعة وأسعارها قبل أن يتحدث مع البائع ، ثم ادعى بعد ذلك كله أن الصفقة كانت مجاملة فقط (وليس فيها ربح) لأمثاله الفقراء أصحاب المصلحة الواحدة ، وبكليف كل مشتر بأن يكون على علم بما يشتريه وأن يمر على الأسواق ويقضي وقتاً طويلاً عند التجار ، والا يشتري من أول مرة بل من عاشر مرة تكليف بالمشقة فليس كل إنسان عنده هذا الفراغ الطويل الذي يقضيه في السوق وبين التجار قبل أن يشتري شيئاً وإذا فعل ذلك مرة فلن يستطيعه كل مرة ، فمخلفه بالرزق لا يتيح له الفرصة لأن يكون خبير بمشتريات في كل شيء يلزمه .

وإذا اشترى لأول مرة وهو جاهل بالأسعار وبالأصناف وفي قلبه شيء من الثقة والطمانينة وصادف هذا الصنف من الباعة .. فانه حينئذ صيد ثمين يضامفون له ثمن السلعة ثم يتحسرون حين يكتشفون أنه كان في الممكن الحصول على ربح أكبر من الصيد الثمين ..

ويدعمون أن كل مكسب جاء عن هذا الطريق انها هو من المهارة والذكاء وهذه هي الطريقة الوحيدة للربح في نظرهم ولا يستطيع تاجر يجلس في السوق للمكسب أن ينال ربحاً إلا بها ولو تركها مات جوعاً وعطشاً واشتغل طول يومه بمطاردة الذباب وتفتد السلع والتحسر على وقف الحال .

وليس للباطل أرجل فلا بد أن يعلم المشتري أن عاجلاً أو آجلاً مقدار الغبن الذي وقع عليه والربح الفاحش الذي حصله التاجر منه عن طريق الغش ، والكتب ، والأيمان الباطلة ، وشهادات الزور والظلم ، واستغلال الثقة بين الناس استغلالاً سيئاً وجهل المشتري ، فهل يعود للتاجر الذي خدعه بعد ذلك أم لا يعود ، انه يفضل أن يذهب إلى من لا يخدمه ولو كان (خواجا) على غير دينه لأن كلمته أصبحت مثلاً في الوحدة ، والصدق والإيجاز وتقدير الوقت والمعدل والبعد عن اللغو الكثير الذي يصحب عمليات البيع والشراء متدنياً .

ومن أجل هذا أصبح انصار الكلمة الواحدة الصادقة والمواعيد المنظمة والمعاملة الحسنة أصحاب الحظ العظيم في دنيا المكاسب والتجارات ، ومن المحزن أن ينظر البائع أو التاجر إلى المكسب الكبير في يوم واحد أو في شهر

واحد أو فى عام واحد ثم لا يبالى بمكسبه بعد ذلك طول عمره وقليل دائم خير من كثير منقطع .

وإن الإسلام حين وصى بالعدل بين الناس ونهى عن الغش ، والكذب ، وخلف الوعد ، والتفان ، وترويح البضائع بالأيمان المغلظة واستغلال جهل الجاهل وحاجة المضطر أثبت أنه دين الدنيا والآخرة معا ، ودين من أراد أن يكون وجيها فى الدنيا والآخرة وكان الأجدر بالمسلم أن ترتبط كلمته بهذه المعانى السامية ليربح ربحا عظيما فى الدنيا لا ليفلس .. الصدق ، والوحدة ، والإيجاز وتقدير الوقت ، والعدل بين الناس فمكسبه من الصغير يساوى الكبير ومن الخبير بالسلعة يساوى الجاهل بسمعرها وأصنافها وكانت هذه المعاملة المثالية الحسنة خير عون على نشر الإسلام والدعوة اليه فإن العالم ينظر الى الإسلام من خلال المسلمين ويتعبير آخر من خلال المعانى المجسدة لا المعانى المجردة .

حاجتنا الى الدين !!

وكتب الأستاذ ابراهيم الحسنيات تحت هذا العنوان يقول :

يولد البشر جميعا وفى نفوسهم حب كامن للعبادة لا يقل فى قوته وأثره فى حياتهم عن دوافع التعليم أو طلب الماء والطعام لمقاومة الظما والجوع وعلى هذا فإن عدم أشباع هذه الناحية بتجاهل الشعور الدينى من العوامل الرئيسية التى تحول دون السعادة التى ينشدها البشر ، كما أنه سبب كثير من حالات الاضطراب النفسى ، وقد نستطيع أن نخفى على غيرنا شمسورنا الدينى ، ولكننا اذا تعمينا أفعاء فى عقولنا الواعية وحاولنا أن نسلير الاتجاه المعصرى اللحدادى لتعرضت نفوسنا لصراع داخلى عنيف أشد خطرا على الأعصاب ، والصحة النفسية ، والجسدية من كبت الغرائز المختلفة ، والكبت الروحى هو علة العلل فى العصر الذى نعيش فيه .. فهو سبب ما يعانیه كثيرون من شقاء ومرارة نفسية برغم ما هيأته لهم المدنية من رغد ، وترف ، وبرغم ارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعا ملحوظا بالقياس الى معيشة آباءهم وأجدادهم .

إن انكار الجانب الروحى يؤثر فى (فلسفة) الناس وسلوكهم فى الحياة ، فهو يحفزهم الى الشعور بتفاهة الغرض الذى من أجله يعيشون ويعملون ، وإلى الاعتقاد بعجزهم عن وقاية أنفسهم ونفوسهم من المصائب والاضطراب المحدقة بهم ، مما يبعث فى نفوسهم القلق والفزع . وهو يجعلهم بذلك يسلمون زمام حياتهم الى (الغالبية) لتحدد لهم أهدافهم ونظام حياتهم كما أنه يؤدى الى عدم المبالاة بشعور الآخرين والاستهتار بالمبادئ السامية وبذلك كله تصبح الحياة لا قيمة لها ولا مغزى وتمتلىء النفس البشرية ياسا ومرارة وضيقا ..

إننا نعيش اليوم فى عصر مضطرب ، فنحن لا نخلص من حرب حتى نستعد لحرب أخرى .. ومن العسير على أكثر الناس أن يواجهوا كوارث الحروب وما تثيره من فزع واضطراب بغير عقيدة دينية صحيحة قوية ، تعينهم وتشجعهم وتواسيهم . وإذا كان من السهل على البشر فى عهود الدعة والسلام أن يتخيلوا أن فى وسعهم الاستمتاع بالحياة بغير معان سامية ترفعهم عن مستوى الحيوانية الكامنة فى نفوسهم ، فإن ذلك مقعز الآن .



قالت صحف العالم

مهمة الصحافة الإسلامية

وأجاب الاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية المساعد عن أسئلة وجهتها اليه مجلة البلاغ الكويتية فقال عن القضية الفلسطينية .

قضية إسلامية أولا وأخيرا ، بالأرض المختصة أرض الإسلام ، والمخرجون منها مسلمون ، والمقدسات التي أحرقت إسلامية ، والأقطار والشعوب المهددة بعد ذلك قلب الإسلام .

والقضية من الجانب الآخر ، يهودية ، فاسم الدولة التي كونها الغازون « إسرائيل » وهي اسم ديني لنبي من الأنبياء ، والأرض المحتلة أنها اغتصبوها بحجة أنها أرض الميعاد ، والدار التي يرسمون فيها سياستهم سموها (الكفيسيت) والمسجد الأقصى أحرقوه ليحتوا عن هيكل سليمان ، وكل يهودي لا يهاجر الى فلسطين خارج عن اليهودية .

فالمعدو ينظر اليها نظرة دينية ويتحرك ويتجفع ويحارب في مجال العقيدة اليهودية التي تنبى عليهم ، أن الرب منحهم هذه الأرض ويجب أن يفهم المسلمون أن معركة فلسطين معركة إسلامية فعلا لا قولا ، إسلامية في ميدان الحرب لا على محاسب .

● وعن واجب الصحافة الإسلامية — قال :

● يجب أن نبحث عن الصحافة الإسلامية أين هي ؟ هل نسمي هذه المجلات التي تصدر في بعض البلدان الإسلامية صحافة إسلامية نستطيع أن نتفق في وجه العدو ونفضحه ونفضح مخططاته ؛ أن ما يصدر من هذه المجلات محدود في كل شيء في عدده وفي مادته وفي وريقاته في تحريره وفي الكمية التي تطبع وفي القراء الذين يقرأون ، أين دور النشر الإسلامية التي تصدر عنها مجلات إسلامية عالية تطبع الملايين من النسخ ، وبمختلف اللغات ، ويقوم على تحريرها محررون مسلمون عالمون بأساليب الصحافة الحديثة ؟

ان للعدو صحافة تصدر في إسرائيل ، وتصدر في العالم الأجنبي كله ، وتطبع بمختلف اللغات ويقرأها ملايين الناس ، ومع هذا غائنا لا نستطيع أن ننكر الدور الذي تقوم به صحافتنا الإسلامية الحالية في حدود الإمكانيات المتاحة فمن الواجب أن نرى على الصحافة الإسلامية المخلصة فضح المخططات وأساليب اعداء الإسلام بشتى صورهم وخاصة العدو اليهودي الحاقد الذي هو من وراء كل طعنة توجه للإسلام والمسلمين .

ان مهمة الصحافة تطورت تطوراً كبيراً في العصر الحديث ، فهناك صحافة عالمية تعنى بالبحوث المختصة وهناك صحف تربوية ضخمة ، كما توجد صحف اخبارية ، وصحافتنا الإسلامية يجب أن تسير هذا التطور فتعنى اول ما تعنى بشرح العقيدة، وتفرس الايمان في قلوب الشباب مع الدفاع المخلص من المسلمين وما يلاقونه من ألوان العذاب والتشريد وخاصة في الدول التي يمثلون فيها الاقلية .

حضارة الاسلام

ليس بالأمثلى

نحت هذا العنوان كتب مجلة حضارة الاسلام الدمشقية في افتتاحيتها
تقول :

ان من الحباقة البلاء ما يكون من تجاهل او تضائل عما به كان التحول
فى حياة أمتنا منذ بعثته عليه الصلاة والسلام حين بلغت رسالة الوحي وهى
وهى تتلخص طريقتها فى الظلام ، فلقد كان أمر الوحي نقطة البدء فى هذه المرحلة
الخطير فى حياة أمتنا منذ بعثته عليه الصلاة والسلام حين بلغت رسالة الوحي
هو من عند الله وليس من عند نفسه كان اعلان تحول جذرى من حيث مفهومات
الحياة ، والمقاييس التى ينبغى أن يقيموا عليها وجودهم بين أمم الأرض ، والمعايير
التي بها توزن أقدار الرجال حتى مسدق فيهم قول النبي عليه الصلاة والسلام
« الناس معادن فخيرهم فى الجاهلية خيرهم فى الاسلام اذا فقهوا »

وأبرز ما فى الموضوع ان تلك المقاييس بالإضافة الى ما صنعت فى اصلاحهم
وتوجيه طائفتهم وأهلهم الوجهة الرشيدة ، وتنمية كيانهم فى ظل الهداية الربانية
المشرقة جعلتهم فى حال تحفز دائم لأن يخرجوا على واقعهم قبل الرسالة ، وكان
ذلك والعهد لله ، فنجلتب الإصلاح الداخلى استطاعوا أن يكسروا القيد الذى
ضربته عليهم غطرسة الفرس والرومان بل ورثوا أرضهم وديارهم ، ونقطة البدء
هذه جعلت من العربى صاحب رسالة يتطلع من خلالها الى ما وراء الحدود ،
ويقوم بميزاتها تلك العقائد المثقلة بالخرافة وتعميل العقل عند أولئك الأقوام
فضلاً عما كان عند بنى جلدته الذين يسلكهم ويميش معهم من تلك العادات
والنقائيد الموروثة المتحجرة مع الزمن أربا عن الآباء والجدود ، والتي أناخت
بكلها الجاهلى ربحاً من الزمن حتى أكرم الله هذه الأمة بالاسلام ، وحمل العرب
رسالته الى العالمين .

والذى يرصد التحرك الإسلامى الوامى يوم كان المسلمون على الطريق
يرى كيف أن الرسالة بصرت الأمة بالخط المستقيم الذى يفضح كل السخوط
الموجبة ، ويكشف الأتمة عن وجوه أصحابها ، ولقد علمنا الله كيف نصده على
هذا وهو لعل المحامد كلها فقال « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم
يجعل له هوجاً . قوماً لينظر بأساً شديداً من لافنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات أن لهم أجراً حسناً » والحق أن هذه المرحلة كانت رحلة جديدة على
طريق الإنسانية التى عانت من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، وغرقت فى بحار
مظلمة من الوهم والخرافة والتقلب على أشواك الضياع .

ومن هنا كانت محاولة زعزعة الإيمان واقضاء المسلم عن ساحة الاعتقاد
المصحح من الأمور التى تشكل المرتكز الأساسى فى منهج أعداء الأمة .
ولقد انتهى المناخ المناسب من طريق امتصاص الشعور الإسلامى والتطلعات
الضائعة بقضايا عاطفية جانحة ، ناهيك عن تشوية الحقائق وعرض القضايا
من وجهة النظر «الخبثية» المكررة وما أسوأها حالاً أن يستخدم ذلك عند الحكم على
الماضى ، ويتخذ سياطاً يتود فلسفة الوقائع ، ويرسم طريق المستقبل للرد
والجماعة .

ولو رحت تتلخص ذلك فى المسائل الفكرية وغير الفكرية لهالك الأمر
وإدركت أننا حين نتغافل عن ذلك ونغمس رؤوسنا شأن النعمية فى التراب نكون
كم من يريد أن يفكر من الضمير قديمه وما هو بفاعل .



أعداد : عيد المعطي بيومي

الكويت : رأس سمو أمير البلاد المعظم الوفد الذي اشترك في تشييع جنازة الرئيس جمال عبد الناصر وقد أعلن العدد في الكويت لأربعين يوماً وعظمت المصالح الحكومية يوم تشييعه وأقيمت صلاة الغائب في جميع مساجد الدولة وخرجت المسيرات الشعبية في موكب حزين ..

● بدأ مجلس الأمة دوره العادي الخامس المكمل للفصل التشريعي الثاني يوم ٢٠ من شعبان الماضي .

● وجه سفير العربية المتحدة كلمة شكر الى سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولي العهد والوزراء والشعب الكويتي على شعوره بمشاركة المتحدة بوفاء الرئيس الراحل .

● درس مجلس الوزراء عدداً من المقررات التي قدمت الى مكتبها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وتقرر فيها تقديم مساعدات مالية لبعض الجمعيات الاسلامية كما درس احتياجات هذه الجمعيات .

● صرح معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بأن مشروع الموسوعة الفقهية يسير على خير ما يرام وأن الوزارة قامت بتوزيع ١٢٠ ألف مصحف وكتاب اسلامي في افريقيا وجنوب شرقى آسيا ..

● استقبل معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في الشهر الماضي رئيسة جمعية المسلمين في تايلاند .. كما استقبل نائب رئيس جمعية المسلمين في الأرجنتين .

● دعت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية عدداً من كبار العلماء والمفكرين والمترجمين في موسمها الثاني لهذا العام خلال شهر رمضان المبارك .

القاهرة : في السابع والعشرين من رجب ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠/٩/٢٨ م) انتقل الرئيس جمال

عبد الناصر - نجدة - الى رهاب ربه متأثراً بسكتة قلبية ، وثارت وفاته كثيرون من الحزن والاسى ، وقد دفن في القاهرة العربية والاسلامية الى طواف الاخير يوم الخميس ٢٠ رجب ١٣٩٠ هـ ، وسار في جنازته زعماء العرب وممثلو دول العالم وهوالى ٥ ملايين شخص من مصر والدول العربية .

● انتخب السيد انور السادات رئيساً للجمهورية ، وقال في وفد ازهرى ان الاسفل ان اسمى الى الازهر لا ان يسمى الازهر النبا وقد اتسم على مواصلة الجهد لتحرير جميع الاراضي العربية المحتلة ، كما اتسم على ان يعانق على حقوق شعب فلسطين .

● أبدى الدكتور عبد العظيم محمود وكيل الازهر استعداد الازهر لتقديم المنح الدراسية وايضاً المدرسين والوعاظ من علماء الازهر الى أوفندا ، وذلك حين زاره القائد العام للقوات المسلحة الؤقتية .

السعودية : زار البلاد ضمن جولة في بعض الدول العربية والاسلامية وفد من المركز الاسلامي

في الأرجنتين بهدف تقديم الصلوات التذكارية بين المراكز وهذه الدول في خدمة الدعوة الاسلامية .

● قرر مجلس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة توزيع المنح الدراسية لهذا العام وعددها ١٠٠٠ منحة على ٤٩ دولة اسلامية .

● تواصل رابطة العالم الاسلامي اجتماعاتها في دورتها الثانية عشرة منذ اوائل الشهر الماضي الاربعين : تواصل اللجنة العربية العليا المثبثة من آخر مؤتمر قمة عربي مراقبتها لوقف إطلاق

النار وشرافها الفعلي على تنفيذ الاتفاق بين الحكومة والمقاومة الفلسطينية .

الصنواقي : قررت الحكومة العراقية فتح مركز تجارى عراقى في صنعاء وتتخذ الاجراءات اللازمة لاتمام هذا المركز .

● **ستجری** تریباً بجائحات بین العراق وکل من السودان والمغرب لعقد اتفاق اعلامی بینما تجری ملوؤسات من هذا القبیل منذ عام بین العراق والاردن .

● **مسوریا :** تقرر تأجيل مؤتمر الأدباء العرب الذي كان مقرراً عقدته في ٣ أكتوبر (تشرين ١) الماضي الى الربيع القادم لعدم وصول الأبحاث والدراسات المطلوبة للمؤتمر .

لبنان : شكل السيد صائب سلام أول وزارة في عهد الرئيس الجديد .

● **السودان :** أصدر اللواء جعفر نميري بياناً الى الشعب المصري عقب وفاة الرئيس جمال عبد الناصر قال فيه : - لن نخونكم يا أبناء مصر ، ولن نخذلكم مستحاربين ان حاربتم ونسالكم ان سالتم واكد انه سيظل وفيًا لكل عهد قطعه مع الرئيس عبد الناصر .

● **جمهورية اليمن :** أنهى المجلس الوطني وضع مسودة الدستور اليمني على ضوء الكتاب والنسخة وسيتم انتخاب الشعب لأعضاء مجلس الشورى تريباً .

● **تقرر** انشاء كلية للتربية كما تقرر انشاء كلية للشرعة تابعة لجامعة الأزهر .

● **ليبيا :** أصدر الرئيس ممر الغدافي بياناً دعا فيه الى الانسحاب على الحزن لوفاة الرئيس عبد الناصر ونبه الى الاخطار المحققة بالامة .

● **تونس :** عقد في الشهر الماضي مهرجانان دينيان لحفظ القرآن الكريم وقد أقيمت في كل مهرجان الكلمات ثم وزعت الجوائز على الفائزين في حفظ القرآن الكريم .

● **أكد** وزير التربيعة التونسية ان غلبة الحكومة من رفع مستوى التعليم الدينى تخريج مفكرين وفلاسفة في التشريع . وأعلن انه ابتداء من السنة القادمة سيتم انشاء مساجد في جميع المعاهد الثانوية .

● **المغرب :** ندد السيد احمد الكفاني بخدوب المغرب الذي انتخب رئيساً للجنة حقوق الانسان (بالأمم المتحدة) بالتمييز العنصرى الذي تمارسه اسرائيل في الأرض العربية المحتلة .

● **باكستان :** قال البرونسور غلام اعظم امير الجامعة الاسلامية في باكستان الشرقية ان النفسان الاسلامى هو الطريق الوحيد لاستفلاص بيت المقدس وجميع الاراضى الاسلامية التي تحتلها اسرائيل .

● **الهند :** حث أعضاء البرلمان المسلمون السلطة على عدم اجراء أى تعديل على وضع الجامعة الاسلامية في عليكرة واكدوا ضرورة الإبقاء على ميزتها الاسلامية .

● **ماليزيا :** تمهد الامير عبد الرحمن أمين عالم المؤتمر الاسلامى ببذل أقصى الجهود للمهمة الخطيرة التي اوكلت اليه من قبل الدول الاسلامية لاقامة مؤتمرهما عملاً لاجداد الوحدة الاسلامية .

● **اقترح** الامير عبد الرحمن انشاء مصرف اسلامى تساهم فيه الدول الاسلامية ويشرف على تمويل المنشآت في العالم الاسلامى .

● **اندونيسيا :** عقد في الشهر الماضي مؤتمر اسلامى في باتوندنج حضره مندوبون عن ٢٠ دولة اسلامية .

البحر اسرار مخفوة

● **البرازيل :** انتحمت الجالية الاسلامية في البرازيل مدرسة اسلامية لتعليم أبناء الجالية تعاليم دينهم ولغة قرآنيهم .

● **كاليفورنيا :** يقوم مركز دراسات الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة بنشاط واسع في هذه الايام لإلقاء الضوء على الحضارة العربية والاسلامية .

● **لوس انجلوس :** يجرى انشاء المركز الاسلامى بـلوس انجلوس بمساهمة مالية من الكويت ومساهمة بالخبراء والفتين من العربية المتحدة ومساهمة ببعض المواد من تركيا .

« الى راغبى الاشتراك »

تملنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتغديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات متنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا راسا مع معهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار - ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء - السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة - شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر - ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية - السيد محمد سعيد بابيضان .

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها - المنامة - السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عند : وكالة الاهرام التجارية - السيد محمد قائد محمد .

حضر موت : مكتبة الشعب - ص.ب (٢٨) الكلا .

دبي : مكتبة دار الحياة - ص.ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية - السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية - السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات - ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع - بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع - بيروت - ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء - مكتبة الوحدة الوطنية - السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب - ص.ب (١٣٢) - السيد محمد بشير الفرجاني

بنغازي : مكتبة الوحدة الوطنية - ص.ب (٢٨٠) - السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع عهد المسالم - ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

٤	حديث الشهر
٨	من هدى السنة (السنة والبدعة ٢) للدكتور على عبد التعم عبد الحميد
١٢	اقرأ باسم ربك
٢٤	النظم الدبلوماسية
٣٥	حديث عن رمضان
٤٠	الثورى فى الاسلام
٤٨	شهر رمضان
٥٤	بيت الشاعر (قصيدة)
٥٦	جوانب من اخطاء المستشرقين
٦٤	المسلمون فى القلبن
٧٠	مائدة القارئ
٧٢	المطالب المالية (كتاب الشهر)
٨٥	ركن الموسوعة
٩٢	المان والمحارب
١٠٠	ثم نسفوا البيت (القصة)
١٠٥	القواى
١٠٧	البريد
١٠٩	باقلام القراء
١١١	قالت الصحف
١١٢	الاخبار